وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس المدية – الجزائر –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكـرة حــول:

تسامح الأديان في رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج" –أنموذجا–

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والآدب العربي، تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- سترة عسال
- كنزة رجاي

إشراف الأستاذ:

- د.اسماعيل محروق

السنة الجامعية: 2025/2024


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء نشكر الله ونحمده الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع فقد قال عزوجل :

" لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"

فنتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور " **اسماعيل محروق**" على كل نصائحه وتوجيهاته التي رافقنا بها منذ بداية إشرافه على هذا العمل.

فنسأل الله العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء كما نشكر كل من ساعدنا سواء من قريب أو بعيد.



الاهداء

الحمد لله حمدا طيبا مباركا على البدء والختام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

سنين الجهد وإن طالت ستطوى، عظم المراد، فهان الطريق، فجاءت لحظة الوصول.

أهدي تخرجي هذا إلى عيناه المتعبة ،إلى السند الذي لا يتكلم لكنه يحمل كل شيء، وإلى قلبها المترقب ،الذي ظلت دعواته تحرسني بعد الله إلى أبي وأمي حفظهما الله وإلى نفسي التي ظنت أنها لن تستطيع، ثم مشت الطريق وهي ترجف لكنها مضت.... إلى الطفلة التي بكت وهي تكتب ثم الشابة التي ضحكت وهي تنهار.

هذا لك، شاهدي كيف نبت رغم الجفاف .....

إلى من وهبني الله نعمة وجودهم في حياتي....

إلى العقد المتبين إخوتي "محمد، عبد السلام، لخضر" وأخواتي" سهام وشروق".

وإلى من رافقتني في هذا العمل صديقتي "كنزة".

سترة







إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير".

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

من قال أنا لها وإن أبت رغما عنها أتيت بها.

أهدي تخرجي إلى من أحمل إسمه ، بكل فخر ملهمي الكبير وداعمي الأول وسندي الثابت مصدر فخري وسعادتي والدي العزيز، وإلى ملاذي في الحياة التي ظلت دعواتها تضم اسمي دائما ومعلمتي الأولى أمي الحبيبة إلى الداعمين والساندين الذين لا يحيطوني ويؤمنوا بشجاعتي من بذلوا جهدا في مساعدتي وكانوا عونا وسندا (إخواني وأخواتي).

إلى كل من يحمل لقب " رجاي" و " معاش" إلى كبيرة البيت جدتي أطال الله في عمرها.

وإلى أزواج إخوتي أدامهم الله سندا لهن.

إلى من هونوا تعب الطريق ومن شجعوني على المثابرة وإكمال المسيرة صديقتي التي بدأت معها خطوة نجاحي إلى آخره، حفظك الله.

أخيرا أشكر نفسي على الصبر والعزيمة والإصرار، راجية من الله تعالى أن ينفعني بما علمني وأن يعلمني ما أجهل ويجعله حجة لي لا علي.

كنزة

Happy Graduation



مقـدمـة

مقدمـــة

يعد تسامح الأديان من أهم المواضيع وأبرزها التي اكتسحت موقعا مهما في الخطابات الفلسفية والفكرية والدينية على مر العصور، مما أدى إلى إعادة طرحه في الوقت الراهن، حيث أصبح العالم يشهد صراعات تهدد التعايش السلمي، لذلك يشار إلى تسامح الأديان على أنه قبول الآخرين رغم اختلاف عقائدهم وانتمائهم الديني والانفتاح على آخر، بناءا على هذا قد كانت الجزائر مركزا مهما لتشكيل الوعي الديني، باعتبار أن المجتمع الجزائري عايش ديانات مختلفة من المسلمين واليهود والمسيحيين في فترة الاستعمار الفرنسي.

الأدب الجزائري كذلك هو الآخر استطاع أن يسلط الضوء على هذه الإشكالية لاسيما جنس الرواية التي كانت بمثابة المتحدث الرسمي عن الواقع، فقد وجهدت في موضوع التسامح الديني أرضية خصبة للتعبير عن ضرورة احترام الغير، والدعوة لإقامة روابط الصداقة والمحبة وتجاوز فكرة الاختلاف الديني.

حيث كان الهدف من اختيار هذا الموضوع هو إبراز القيم الانسانية المشتركة بين الأديان خاصة الإسلام والمسيحية، وكيف تمكن واسيني الأعرج من معالجة هذه الفكرة وطرحها داخل الرواية الجزائرية، ولعل أبرز الأعمال التي أستوقفتنا في هذه الدراسة رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد " لنفس الكاتب.

فقد حاول الروائي أن يسلط الضوء على علاقة طيبة بين شخصيتين إثنين كل منهما ينتمي إلى ديانة مختلفة عن الآخر، الأولى عرفت بكفاحها ونضالها الطويل ألا وهي شخصية "الأمير عبد القادر" الجزائري والثانية القس المسيحي "مونسينيور ديبوش"، ليصور لنا أسمى معاني التسامح الديني.

ومن الأسباب التي دعتنا لاختيار هذا الموضوع، بين ذاتية وموضعية هو إعجابنا بطريقه في معالجة الموضوعات، أما عن الأسباب الموضوعية هي طبيعة التخصص التي فرضت

علينا دراسة مدونة روائية وكذلك تسليط الضوء على جانب خفي وهام من حياة الأمير القائد ورجل الدين المتصوف.

وتتمثل إشكالية البحث في:

لاشك أن القيم الإنسانية المشتركة بين الأديان كالأخوة والتسامح والتعايش السلمي، ألهمت قريحة بعض المبدعين الروائيين الجزائريين

فكيف تتناول هؤلاء المبدعون مسألة تسامح الأديان ومظاهرها ؟

بالاعتماد على رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج كعينة الدراسة؟

وتتفرع عن الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

يا ترى ما المقصود بتسامح الأديان ؟ إلى أي مدى استطاع واسيني الأعرج تصوير هذه الرؤية؟ وهل تمكنت الرواية الجزائرية أن تخوض غمار هذه التجربة ؟ وللإجابة عنها اقترحنا بعض الفرضيات:

التسامح الديني هو قبول الأخر رغم الاختلاف العقائدي، واسيني الأعرج في روايته صور العلاقة الطيبة بين شخصيتين أساسيتين مما عكس التسامح الديني.

أشار الروائي إلى المرجعية الدينية لشخصياته من خلال مختلف الأحداث وقد أرتأينا أن نقوم بهذه الدراسة وفق المنهج الوصفي الذي غلب عليه التحليل، الذي يقوم على دراسة الظاهرة بدقة وشمولية كما أن طبيعة الموضوع اقتضت وضع الخطة الآتية:

مقدمة، ثلاث فصول وخاتمة ،بين الدراسة النظرية والتطبيقية كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث.

الفصل الأول جاء بعنوان تسامح الأديان السماوية تطرقنا فيه إلى مفهوم التسامح، الأديان، رؤية القرآن الكريم لتسامح الأديان وكذلك مسارات التسامح بين الإسلام والمسيحية.

أما الفصل الثاني كان معنون ب تسامح الأديان في الرواية الجزائرية ليشمل رؤية حول نشأة الرواية الجزائرية وكذلك المرجعية الدينية، ومظاهر تسامح الأديان في الرواية الجزائرية.

لننتقل إلى الجانب التطبيقي ألا وهو الفصل الثالث بعنوان دراسة تطبيقية في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد والذي يحتوي على المرجعية الدينية لشخصيات الرواية ودلالتها وكذلك مظاهر تسامح الأديان في الرواية.

ولا ننسى صعوبات التي واجهناها أهمها طول الرواية إذ أن عدد صفاحتها تجاوز 600 صفحة، لكن هذا ما لم يمنعنا من التعمق في هذا العمل.

– اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها:

– عبد المالك مرتاض، كتاب في نظرية الرواية ومن خلال هذا الأخير تطرقنا إلى تعريف الرواية اصطلاحا.

– واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد وهو المصدر الأساسي الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة.

– ميخائيل بختين، كلمة في الرواية.

– شوقي أبو خليل، التسامح في الإسلام.

– فارس بن زكريا، مقاييس اللغة.

وفي الأخير نرجو من الله عزوجل أن نكونا قد وفقنا في إنجازنا لهذا البحث ولو بالشيء القليل، والحمد الله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

الفصل الأول: تسامح الأديان السماوية

المبحث الأول: مفهوم التسامح، الأديان.

المبحث الثاني: رؤية القرآن الكريم لتسامح الأديان.

المبحث الثالث: مسارات التسامح بين الإسلام والمسيحية.

تمهيد

يعتبر التسامح من أهم المبادىء التي تحتاج إليها البشرية في كل زمان ومكان ، خاصة في ظل ما يشهده العالم اليوم من صراعات واختلافات دينية وثقافية، وبينما يرى البعض أنَّ الأديان سبب في الإنقسام ، فإن الحقيقة أن الأديان السماوية الكبيرة – الإسلام والمسيحية واليهودية ،قد جاءت جميعها لتدعوا إلى الإسلام والتعاميم والتسامح بين الناس، فهذه الرسالات الألهية لم تهدف فقط إلى تنظيم علاقة الإنسان بخالقه، بل سعت أيضا إلى بناء مجتمعات قائمة على الرحمة والعدالة وقبول الأخر.

لقد أكدت النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة على أهمية احترام الآخر مهما اختلف في العقيدة ، وحرمت الإكراه في الدين كما شجعت على الحوار البناء، ونبذ الكراهية والعنف ففي الإسلام ورد في القرآن الكريم "لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينْ" البقرة 256، وهذا دليل على التسامح الديني.

ومن خلال تأملنا في سيرة الأنبياء والرسل، نجد أنَّهم كانوا قدوة في السامح والحكمة، حيث واجهوا الآذى بالكلمة الطبية، وعاملوا الآخرين بالخُلق الحسن مما عكس الجوهر الحقيقي للرسالات السماوية ، إنَّ تسامح الأديان لا يعني التنازل عن المعتقد بل هو الاعتراف بحق الآخرين في الإيمان والعيش بكرامة، والعمل معا من أجل إنسانية أكثر وعيًا وسلاماً.

من هنا، تظهر الحاجة الملحة في عالمنا المعاصر إلى استحضار هذه القيم الدينية النبيلة والعمل بها في حياتنا اليومية، لتعزيز ثقافة التعايش والاحترام بين الأفراد والمجتمعات خاصةً في ظل تنامي خطاب الكراهية والتعصب الذي لا يمت بصلة إلى جوهر الأديان الحقيقية.

المبحث الأول: مفهوم التسامح، الأديان

التسامح هو قيمة إنسانية راسخة تعبر عن قدرة الفرد على قبول الآخرين على اختلاف ثقافتهم وآرائهم و معتقداتهم، إنَّه سلوك يدعو إلى التفاهم والسلام، ويعد أساساً لبناء علاقات صحية ومجتمعات متلاحمة.

التسامح لغة:

جاء في مقاييس اللُّغة لابن فارس تعريف مادة "سمح" : السين والميم والحاء أصل يدل على سلامة وسهولة، يقال سمح له بالشيء ، ورجلٌ سمحٌ أي جواد، وقوم سُمحاء ومساميح، يقال سمَّحَ في مشيه أي أسرع.

ومن الباب :المسامحة في الطعان و الضرب ، إذا كان على مساهلة :ويقال رمحٌ مسمحٌ قد ثقق حتى لان.[1]

وجاء في معجم المحيط "سَمُحَ" ككُرم سماحاً وسماحة وسموحاً ، وسوحةٌ، وسمحاً و سماحًا ككتابٍ، جاد وكرُمَ، تسامحوا: تساهلوا، والمساهلةُ كالمسامحةِ.[2]

نجد كذلك السماح والسماحةُ، الجُودُ يَسمَح سماحة وسموحةً وسماحاً: جاد و رجل سمح وإمرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء فيهما أو رجل سميح مِسْمح ومِسماح، يقول جرير:

غلب المساميحَ الوليد الوليدُ سماحةَ وكفى قريش المعضلات وسَادَها.[3]

[1]– فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، ج3، دار الفكر، دط، دت، ص 99

[2]– الفيروز ابادي، القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008،ص799

[3]– شوقي أبو خليل، التسامح في الاسلام، المبدأ والتطبيق، الدار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د.ت، ص 39.

والتسامح في لسان العرب لابن منظور ثري المعاني ومعظم هذه المعاني مشتق من (سمح)، والسماح والمسامحةُ: الجود والعطاء عن كرم وسخاء ، وليس تسامحاً عن تنازل منه أو منه، والمسامحة المساهلة، وتسامحوا تساهلوا لأن السماح رياح، كما جاء في الحديث الشريف بمعنى أنَّ المساهلة في الأشياء تريح صاحبها، وتقول العرب عليك بالحق فإنَّ فيه لمسمحاً، أي متسعاً فالتسامح حتى يتسع للمختلفين وعموما يستخدم التسامح في اللغة مع كل ما يوافق عليه، ويصبر عليه، ويجادل فيه بالتي هي في أحسن.[1]

ونجد سمح: السماح والسماحةُ: الجود.

الإسماح: لغة في السماح، يقال: سمحَ وأسمحَ إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء. وقيل: إنَّما يقال في السخاء سمح وأمَّا أسمحَ فإنما يُقال في المتابعة والانقياد.

في الحديث المشهور : السماح رباح ، أي المساهلةُ في الأشياء تربح صاحبها وقولهم الحنيفية السُمحةُ : ليس فيها ضيق وشدة.[2]

من خلال هذه التعاريف اللغوية نلاخظ أن التسامح من مادة تسمح " التي تشير إلى السماحة وتسامح تساهل. وبالنظر والتفكير يلاحظ شمولة المعاني للسهولة واليسر والجود والبذل والبعد عن الضيق والشدة وجميع هذه المعاني لها ارتباط وثيق فيما بينها.

التسامح اصطلاحاً:

التسامح ببساطة يعني نبذ المشاعر والأفكار والسلوكيات السلبية اتجاه من أساءوا إلينا، واستبدال مشاعر وأفكار وسلوكيات إيجابية بها، فيتيح التسامح لنا أن نعيش مشاعر التعاطف والرحمة والحنان لمن أساءوا إلينا، وتحمل كل هذه المشاعر في قلوبنا مهما بدا لنا

[1]–ميشيل، إماكلو وآخرون، التسامح نظرية البحث والممارسة، تر عبير محمد أنور، المركز القومي للترجمة، ط1، 2015، ص09.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله الجبير، محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، ط1، القاهرة، ص2088.

العالم من حولنا، والتسامح هو الطريق إلى الشعور بالسلام الداخلي والسعادة، وهو سبيلنا إلى الطمأنينة رغم الشعور بالألم، والإستمرار في الحياة بعد تعرضنا للإيذاء من الآخرين ويساعدنا التسامح على تحمل مسؤلية ما نشعر به وعن التوقف عن الأمل لمجرد أنَّنا تعرضنا لألم ما.[1]

لذلك يراد بالتسامح أنَّه موقف إيجابياً متفهماً من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والإتجاهات المختلفة بعيداً عن الإحتراب والإقصاء على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته. وكان المفهوم في بداية تشكله يتضمن قيم أخلاقية إختيارية، فالتسامح وفقاً لهذه الدلالة شخص يتنازل عن حقه تكرماً منه على الآخرين.[2]

كما يعرف التسامح، على أنه الرغبة في التخلي عن حقنا في الإمتغاص والحكم السلبي و التصرف بإعتدال اتجاه من آمالنا على تحو جائز، وتعزيز أخلاق الشفقة والسماحة وحتى الحب على الرغم من أنه قد يستحقه.[3]

ظف إلى ذلك إنه تغير شخصي اجتماعي إيجابي، يحدث للفرد اتجاه الإساءة المدركة يتناسب مع السياق الشخصي النوعي الذي حدثت فيه الإساءة.[4]

فالتسامح يعني القدرة على تجاوز الأخطاء والسلبيات التي يرتكبها الآخرون والتعامل مع الناس بروح من التساهل والقبول، يشمل التسامح تقبل الاختلافات والمواقف المختلفة دون تشهدد أو تعصب وهو سمة من سمات الشخصية التي تعكس النضج والعقلانية.

---

[1]- ميشيل، إماكلو وآخرون، التسامح نظرية البحث والممارسة، المصدر السابق، ص9.

[2]- عبد الكريم الخطيبي، التسامح والسياسة، تر: عزالدين الكتاني الإدريسي، المشروع القومي للترجمة، دط،1998، ص (20- 21).

[3]- ميشيل، إماكلو وآخرون، التسامح نظرية البحث والممارسة، المصدر السابق، ص 41.

[4]- المصدر نفسه، ص43.

من جهة أخرى التسامح هو أن ننسى الماضي الأليم بكامل إرادتنا، إنه القرار بأن لا تعاني أكثر من ذلك وأن تعالج قلبك وروحك، إنه اختيار الا تجد قيمة للكره أو الغضب وإنه لتخلي عن الرغبة في إيذاء الآخرين بسبب شيء ما قد حدث في الماضي، إنه الرغبة في أن نفتح أعيننا على مزايا الآخرين بدلا من أن نحاكمهم أو ندينهم.[1]

والتسامح من الجانب الديني هو عدم الغلو في الدين الواحد وسلوك سبيل اليسر سبيل"التي هي أحسن" من جهه ،واحترام حق الاقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائر دينيها دون التضيق أو ضغط...الخ، من جهة أخرى حاجة تفرض نفسها بحكم تعدد الممارسات الدينية داخل الدين الواحد وتعدد الاديان داخل المجتمع الواحد، هذا التعدد الذي هو ظاهرة إنسانية حضارية لا يمكن تجاوزها ولا القفز عليها ،وبالتالي فالتسامح هنا يعني التحقيق إلى أقصى حد ممكن من الهيمنة المقصودة أو غير المقصودة التي يمارسها مذهب الاغلبية داخل الدين الواحد ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد.[2]

وعالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الايجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى ،نظرا لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوما بيوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي ازالت الحواجز الزمنية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة.[3]

ومن خلال هذه التعاريف نجد ان التسامح ليس مجرد مبدأ أخلاقي، بل هو أسلوب حياة يترجم في سلوك الإنسان اليومي في تعامله مع أسرته، اصدقائه، مجتمعه، وحتى مع من أساء إليه وهو من القيم التي دعت اليها كل الديانات السماوية وعلى رأسها الإسلام.

---

[1]- جير الدرج ومبولسكي، التسامح أفضل علاج على الإطلاق، داره العربية للكتاب، د.ط، 2006، ص43.

[2]-محمد عابر الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 29.

[3]-جعفر عبد السلام، التسامح في الفكر الاسلامي، المركز العلمي للطباعة والكمبيوتر، فلسطين، ط1 ، 2005، ص09.

تعريف الدين:

لغة: جاء في قاموس المحيط أدنَنْتُه: أعطَيْتُهُ الى أجل وأقرضّتُه، ودان هو: أَخَذَه، ورجل دائن ومدين ومديون ومُدان وتشدَّدُ داله: عليه دَيْنٌ والدينُ بالكسر: الجزاءُ، وقد دِنْتُه بالكسر ديْناً، و يُكسَرُ الإسلامُ وفي الحديث "كان النبي صلى الله عليه وسلم على دين قَومِه" أي على ما بقي فيهم من إرث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، ودَان يَدينُ: عز، وذل وأطاع، وعصى، واعتل خيرا أو شرًّا وأصابه لداءُ.[1]

أمَّا في مقياس اللغة العربية نجد مادة "دين" الدال والباء والنون اصل واحد اليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد، والذل، فالدِّين: الطاعة،يقال دان له يدين دينًا، إذ أصْحَبَ ونقاد وطاع وقوم دين أي مُطيعون منقادون قال الشاعر: وكان النَّاس الا نحن دينا.[2]

ودين يقال للطاعه والجزاء، واستعير للشريعة والدين كالمة يقال اعتبارا بالطاعه والانقياد للشريعة.

ودنته بما صنع، اي جزيته كما تدين تدان،؛ومنه يوم الدين والله الديان،؛وقيل هو القهار من دان القوم اذا فاسهم وقهرهم، فدانوا له، ودانواه، انتقادوا له.[3]

ومنه يمكن القول أن كلمه "دين" تاتي من الجذر العربي دان الذي يعني الطاعه والانقياد وبالتالي يشير الى ما يلتزم به الافراد من معتقدات وسلوكيات.

كما نجد دين : الدَّيَّان من أسماء الله عزَّ وجلَّ، معناه الحَكَمْ، القاضي، وسئل بعض السلف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان دَيَّانَ هذه الأمة بعد بنيها أي

[1]–الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص (581–582).

[2]–فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج2، المصدر السابق، ص319.

[3]– براهيم محمد ابراهيم، الاديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموفق الإسلام منها، مطبعه الامانة، مصر، ط1، 1985، ص 10.

قاضيها وحاكمَها، والدَّيَّان: القهَّارُ، والدينُ: الحسابُ، ومنه قوله تعالى: "مالك يوم الدين"[1] سورة الفاتحة الآية3.

وقيل معناه: "مالك يوم الجزاء ، وقوله تعالى،: "ذلك الدين القيمُ"[2]، سورة الروم، الآية 30.

اي دلك الحساب الصحيح والعدد المستوى، والدِّينُ: الطاعةُ، وقد دنْتُهُ ودِنْتُ له أي أطعتهُ.[3]

اصطلاحًا:

يعرف الدين على أنه وضع الهي دافع لذي العقول السليمة والبصائر المميزة اختيارا الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، أو الاستقامة في العاجل والخلاص والمثوبة في الآجل.[4]

كما نذكر هنا أن لفظة الدين في المدرسة الاجتماعية الفرنسية كما ذكره ايميل دوركايم من أنَّه " مجموعة متساندة من الإعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة" ويريد بها هنا المعزولة والمحرمة، "تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة". وقد نذكر أن لفظ ملة في اللغة العربية قد يستعمل بمعنى الدين الشامل للعقيدة والشريعة والمواقف الشعورية التي تكتنف أداء العبادة والطقوس.[5]

فالدين هو مجموعة المعتقدات والممارسات التي تتعلق بالعلاقة بين الإنسان وقوى عليا أو خالقة، غالبا ما تعبتر هذه القوى الهية أو خارقة للطبيعة، يشمل الدين المفاهيم عن الايمان بالعالم الروحي، العبادات والشرائع، كما أنه النظام الكامل، نظام الحياة الذي يذعن فيه المرء لسلطة عليا ثم يقبل اطاعته واتباعه، ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانيه

[1]– سورة الفاتحة، الآية 3.

[2]–سورة الروم، الآية 30.

[3]–ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 146.

[4]–محمد كمال جعفر، الانسان والاديان دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، ط1، 1985، ص20.

[5]–مصدر نفسه، ص20.

ويرجو في طاعته العز والفوز بالدرجات العليا ،وحسن الجزاء ويخشى في عصيانه الذلة والخزي والعقاب.[1]

نستخلص من هذا ان الاديان هي أنظمة من المعتقدات والممارسات الروحية التي تربط الأفراد أو المجتمعات بمفاهيم دينية معينة، مثل الايمان بوجود إله أو معتقدات حول الحياه بعد الموت أو قوانين اخلاقية توجه سلوك الأفراد. تختلف الاديان في تعلمها وطقوسها، وطرق عباده الله أو الالهة ولها تاثير كبير على ثقافة الشعوب وتاريخها.

تعريف الدين عند الغربيين:

ظهرت تعريفات كثيره للدين في الغرب، وكانت تنطلق كلها من نظرتهم الى الكنيسة الكاثولوكية، تاريخها في العصور الوسطى وموقفها من الملوك والحكام والاقطاع والرق والحروب والحجر على العلم والاكتشافات، ثم موقف الثورة الفرنسية وما تبعها من الكنيسة ورجال الدين والافكار الدينية ،ثم تبني العلمانية ومحاربة الدِّين وطرد رجال الدين الذين كانوا يمثلون السلطة الروحية والمادية العليا ويوجهون السياسة والتشريع والقضاء في العهد السابق.[2]

ظهرت تعريفات عديدة للدِّين:

يقول شلاير ماخر في " مقالات عن الديانة" "قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة"

[1]–محمد الرخيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجه الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ط1، 1991، ص22.

[2]–محمد الرخيلي، وظيفة الديني في الحياة وحاجة الناس اليه، المرجع السابق، ص16.

ويقول الأب شاتل في كتاب "قانون الانسانية" الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الانسان نحو الله، واجباته نحو الجماعة، وواجباته نحو نفسه".[1]

ويعرفه ويليام جيمس فيقول:" الدين هو الطريقة التي تظهر بها ردود أفعال الإنسان تجاه الحياة، حينما تكون ردود الافعال هذه منبعثة من سمو نفس متأثر بسحر قوة أعظم من الانسان نفسه".[2]

تعريف الدين عند العلماء المسلمين:

اشتهر على لسان علماء المسلمين تعريف الدين بأنه:" وضع إلهي يرشد الى الحق في الاعتقادات، والى الخير في السلوك والمعاملات" ويقول آخرون: " هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"[3].

وفي تعريف الدين عند الجرجاني: هو " وضع إلهي يدعو اصحاب العقول قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم" والدين والملة متحدان بالذات ومختلفان باعتبار فإن الشريعة ،من حيث أنها تطاع تسمى دينا ومن حيث انها تجمع تسمى ملة ومن حيث أنها يرجع اليها تسمى مذهبًا وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب أن الدين منسوب الى الله تعالى والملة منسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمذهب إلى المجتهد[4].

بناءًا على هذا يمكن القول ان الدين عند الغرب يقوم على تفسير الانسان للعالم من خلال نظره ميتافيزيقية ،أما عند العرب يعبر عن التزام الشخص بمعتقدات دينية وتقديم العبادة والطاعة لله الواحد بالإضافة إلى الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه.

[1]–المرجع نفسه، ص18.

[2]–محمد كمال ابراهيم جعفر، الاسلام بين الاديان، مكتبه دار العلوم للنشر، القاهرة، د.ط، 2016، ص21.

[3]–محمد الرخيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه، المرجع السابق، ص 20.

[4]– علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط1، 1985، ص111.

المبحث الثاني: رؤية القرآن الكريم للتسامح الديني

يعتبر التسامح الديني أحد الموضوعات الاساسية في القران الكريم، حيث نجد العديد من الآيات التي تدعو الى إحترام الاخر، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، لذلك يعتبر التسامح من القيم الأساسية في الاسلام وهو يعكس جوهر الدين الاسلامي الذي يقوم على المودة والرحمة بين الناس.

فالقران الكريم لم يفرض على الناس الدخول الاسلامي بالقوة، بل دعا الى الحوار والاعتراف بالآخرين، مما يبرز رؤيته الشاملة للتسامح بين الأديان، وفي هذه السطور سنناقش رؤية القران للتسامح الديني وذلك من خلال التعريج على عده آيات تبرز هذا الجانب.

قال الله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"[1] سورة العنكبوت، الآية 04 أي الحرص على تعامل المسلمين مع أهل الكتاب واليهود والنصارى بأسلوب الحوار الحسن المؤدب وهذا يشمل النقاش بالرحمة والاحترام دون جدال عقيم أو إهانة، وكذلك الدعوة الى الحوار والتفاهم أي الحوار البناء دون الجدال الحاد، وكذلك قد أمر الله عز وجل رسوله الكريم الى الدعوة الى الله بالحكمة قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنه "الموعظة الحسنة" أي بماضيه من الزواجر والوقائع بالناس وذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى وقوله "وجادلهم بالتي هي أحسن" أي من إحتاج مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن الخطاب.[2]

[1]– سورة العنكبوت، الآية، 46.

[2]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص1081.

وقوله تعالى في سورة النحل:" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"[1] سورة النحل، الآية 125.

فهنا يركز القران الكريم على ضرورة الدعوة الى الله عن طريق الحكمة والموعظة ،بدلا من الاكراه في التعامل مع الاخرين وحتى في مواجهة المعارضين والمخالفين فهنا دعوة الى الايمان ونبذ الكفر والسعي الى اختيار المنهج السهل اللين في اقناع الناس، فمن هنا يتضح أن حرية العقيدة في القران الكريم احيطت بسائر الضمانات القرآنية التي جعلت منها حرية مطلقة لا تحدها حدود ما دامت في إطار حرية اختيار المعتقد وإن الحساب عليها خاص بالله جل شأنه لا يجاوزه الى سواه.[2]

تظهر هذه الآيات أن الإسلام يدعو الى التسامح ،والاحترام المتبادل ويشجع على التعايش السلمي بين جميع الأديان.

وقال تعالى في كتابه العزيز:" وقولوا للناس حسنا"[3] سورة البقرة الآية 83. هذا دليل على حسن الخلق والمعاملة الطيبة والطف في الكلام مع الناس ،كلهم دون استثناء أو تحديد مع ضرورة استخدام الالفاظ الطيبة مع الاخرين ،وعدم استخدام الكلمات الجارحة أو القاسية وذلك من اجل بناء علاقات ايجابية مع الناس فينبغي على المسلم أن يحرص على أن تكون كلماته مفعمة بالخير والرفق، سواء في الحوار مع الناس أو في الدعوة الى الله أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا ،ويدخل في ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف.[4] وهذا يشمل الناس بكل أديانهم دون استثناء وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: "

[1]–سورة النحل، الآية، 125.

[2]–طه جابر العلواني، لا اكراه في الدين، اشكالية الردة والمرتدين من صدر الاسلامي الى اليوم، دار النشر، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2003، ص94.

[3]– سوره البقرة، الآية83.

[4]–ابن كثير، تفسير القران العظيم، المصدر السابق، ص 155.

"إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولوا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى" لذلك فالدعوة الى الله تكون بالكلمة الطيبة والرفق في التعامل حتى مع أصعب الناس وأكثرهم ظلما.

ظف إلى ذلك حسن الجوار لمن اختلفت دياناتهم قال الله تعالى:" وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب"[1] سورة النساء، الآية، 36. يعني الجار الذي ليس بينك وبينه صله قرابة مباشرة بل هو مجرد جار في المكان دون روابط عائليه، ومع ذلك يجب الاحسان اليه فهذا يظهر رحمة الإسلام واهتمامه بالجار بشكل عام سواء قريب أو بعيد "والجار الجنب" في تفسير ابن كثير يعني اليهودي والنصراني،[2] وفي سياق اخر يقول الله تعالى:" يا أيُّها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[3] سورة الحجرات، الآية 18.

فالاسلام هنا عمليا يعترف ،بالأخر ويقر له بشروط متساوية في الخلق منذ نشأة دون أن يحدد هويته أو نمط تفكيره أو انتمائه، بلا انه لا يحدد معيارا للتقويم والخطأ والصواب وحتى الحساب والثواب إلا بمدى التزام الفرد والجماعة بمنهج قياسي واحد، يمكن أن ينطبق على الجميع بشكل عادل.[4] فالتسامح الديني بات مطلب انساني ضروري لفرض التعايش السلمي بين الاديان ولم يكتفي القرآن بالاهتمام بهذه القضية بل جاءت كذلك السنة النبوية أيضا تقاسم هذا الاهتمام.

[1]–سورة النساء، الآية 36.

[2]–ابن كثير، تفسير القران العظيم، المصدر السابق، ص 480.

[3]–سورة الحجرات، الآية 18.

[4]–بن سليمان عمر، مفهوم التسامح في الفكر العربي الاسلامي المعاصر، دراسة تحليلية لمفهوم التسامح وتأصيله في التراث، رسالة الدكتوراه، جامعه وهران 2، قسم الفلسفة، 2016، ص82.

كما تظهر أهمية التسامح الديني بشكل عميق وواضح في هذه الآية الكريمة: قال تعالى:(لَّا يَنهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَم يُقَٰتِلُوكُم فِي ٱلدِّينِ وَلَم يُخرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُم أَن تَبَرُّوهُم وَتُقسِطُوٓاْ إِلَيهِم إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُقسِطِينَ) [سورة الممتحنة الآية: 08][1]

فالقرآن الكريم يوضح الذين جملة من الآداب، يمكن عدها بيداغوجية للتسامح الديني، فقد دعا المسلمين إلى أن يكونوا لغيرهم موضع حفاوة ومودة وبر وإحسان [2] لذلك الله سبحانه وتعالى يوجه المؤمنين إلى ضرورة التعامل مع غير المسلمين الذين لا يقاتلهم في الدين ولم يطردوهم من ديارهم بالبر والإحسان ،وهذا يتضمن احترام حقوقهم والتعامل معهم بالعدل والمساواة دون تمييز على أساس الدين أو المعتقد، فالتسامح الديني هنا لا يعني التنازل عن الثوابت، بل يعني العيش بسلام وتعاون مع الآخرين على أساس القيم المشتركة مثل البر والإحسان كم تشير إلى العلاقة مع هؤلاء الأفراد يجب أن تكون مبنية على العدالة (القسط) والمساواة، مما يتيح مجالا للتعاون والمصالحة بين جميع الناس لأن الله يحب المحسنين الذين يظهرون البر والإحسان سواء تجاه المسلمين أو غيرهم. قال تعالى: (لَكُم دِينُكُم وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون الآية: 06][3]

فهي تحمل في طياتها دعوة عظيمة إلى احترام التنوع الديني بحق الأفراد، تعبر هذه الآية عن مبدأ التعايش السلمي بين مختلف الأديان والمعتقدات، حيث يوضح القرآن الكريم أن لكل فرد أو جماعة الحق في ممارسة دينهم، دون أي ضغط أو إكراه، فالاختلافات الدينية ليست سببا للعداء أو الرفض بل هي جزء من طبيعة التعددية البشرية التي ينبغي احترامها، كما تعكس دعوة إلى أن يكون التفاعل بين الأديان مبنيا على الاحترام، من جهة آخرى يقول

[1] سورة المتحنة، آية 08.

[2] – الياس دكار، حقيقة التسامح الديني بين المسيحية والإسلام، دراسة تحليلية مقارنة، محلة العلوم الإسلامية والحضارة، مجلد 4، العدد02، 2019، ص155.

[3] – سورة الكافرون، الآية 06.

الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَومِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحا فَلَهُم أَجرُهُم عِندَ رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ)[سورة البقرة الآية: 62][1]

إنّ من آمن من هذه الأمة، وكذلك من آمن من الأمم الماضية قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود و نصارى وصائبة وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء ،من تحقق فيهم الإيمان بالله وباليوم الآخر فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه في الآخرة، و لا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا [2] هنا يظهر أن الأجر عند الله لا يقتصر على أتباع دين واحد بل يشمل المؤمنين من جميع الطوائف، سواء كانوا من المسلمين أو اليهود أو النصارى أو الصائبين، طالما أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحاً، فهي تبرز رؤية إلهية تشجع على التسامح والقبول بين الأديان، مشيرة إلى أن معيار الحساب في الآخرة يعتمد على الإيمان الصادق والعمل الخير.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآء وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبا) [سورة النساء الآية: 01][3]

وصف تعالى نفسه بأنه المتوحّدُ يخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعَرِفاً عبادهُ كيف كان مبتدأ إنشائية ذلك من النفس الواحدة، ومُنبهُهم بذلك على أن جميعهم بَنُو رجل واحدٍ وأمٍ واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحدٍ وأم واحدةٍ وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض [4] فهذه إشارة صريحة إلى التعايش والتسامح مع الغير بغض النظر عن

[1]سورة البقرة ، الآية 62.

[2]– نوح حسن، تفسير القرآن الكريم المبسط، مطبعة دياب للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2020، ص 10.

[3]سورة النساء، الآية 01.

[4]الطبري معروف الحرستين، تفسير القرآن الكريم، تح دكتور بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستان، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994، ص387.

دينه وجنسه ولونه ،فجميع البشر خلقوا من نفس المصدر وهذا دليل على وحدة الإنسانية كما تدعوا الآية إلى التقوى وهي صفة تشمل التحلي بالأخلاق الحسنة مثل التسامح والمغفرة إتجاه الآخرين رغم الاختلاف الموجود بينهم فهذا دليل على التنوع الديني واحترام الغير إضافة إلى هذا قوله تعالى: (وَمِن ءَايَٰتِهِۦ خَلقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ وَٱختِلَٰفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَٰنِكُم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰت لِّلعَٰلِمِينَ) [سورة الروم الآية: 22][1]

يعني: اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تترا لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء ثكرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالية، وهؤلاء خرز، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم[2] هنا كذلك يتجلى التسامح الديني وذلك من خلال التأمل في خلق الله والتعايش مع الأخر وقبوله رغم الاختلاف الموجود سواء من حيث الديانة أو اللون أو اللغة ،فهذا لا ينكر وجود تقارب واندماج مع الشعوب الأخرى وإنما دليل على عظمة الخالق ورسالة إلى البشرية لتفاهم فيما بينهم.

ويتجلى التسامح الديني في المنظور القرآني من خلال هذه الآية يقول الله عزّوجل: (قُل يَٰأَهلَ ٱلكِتَٰبِ تَعَالَوا۟ إِلَىٰ كَلِمَة سَوَآءِ بَينَنَا وَبَينَكُم)[3] [سورة آل عمران الآية: 64]

يعني ذلك جل ثناؤه: " قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل " تعالوا هلموا " إلى كلمة سواء " يعني إلى عدل بيننا وبينكم[4]. حيث تبرز الحوار السلمي والبحث عن القواسم المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود والنصارى) ،رغم الاختلافات الدينية كما تدعوا إلى التلاقي على مبادئ أساسية وتشجع على التفاهم بين مختلف الديانات.

[1] سورة الروم، الآية 22.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ص1450.

[3] سورة آل عمران، الآية 64.

[4] الطبري معروف الحرستان، تفسير القرآن الكريم، مصدر سابق، ص270.

المبحث الثالث: مسارات التسامح بين الإسلام والمسيحية

التسامح الديني من القيم الإنسانية الرفيعة التي دعت إليها معظم الأديان السماوية، وعلى رأسها الإسلام والمسيحية، فعلى الرغم من الاختلافات العقائدية بين الديانتين، إلاّ أن كليهما يشتركان في دعوة الإنسان إلى المحبة، والعدل، والرحمة، وقبول الآخر. وقد شهد التاريخ فترات من التعايش السلمي والتبادل الثقافي المثمر بين المسلمين والمسيحيين، خاصة في العصور الذهبية للحضارة الإسلامية، وفي بلاد الشام والأندلس وغيرها من المناطق التي احتضنت أتباع الديانيين، وفي ظل التحديات المعاصرة تزداد الحاجة إلى استكشاف مسارات التسامح بين الإسلام والمسيحية، من أجل ترسيخ ثقافة الحوار والتفاهم، وبناء مجتمعات أكثر انسجاماً وإنسانية.

بسم الله الرحمن الرحيم: (قُل يَٰٓأَهلَ ٱلكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَة سَوَآءِۭ بَينَنَا وَبَينَكُم أَلَّا نَعبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشرِكَ بِهِۦ شَيا وَلَا يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعضًا أَربَابا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشهَدُواْ بِأَنَّا مُسلِمُونَ) [سورة آل عمران الآية: 64)[1]

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل تعالوا، هلموا إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم وكلمة العدل أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، ويقول ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيها أمر به من معاصي الله وكلمة فإن تولوا فإنّ اعرضوا عما دعوتهم إليه من كلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها .

واختلف بعضهم في: نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1] سورة آل عمران، الآية 64.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج قال بلغنا أن النبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك، فأبوا عليه فجاهدهم: قال دعاهم إلى قول الله عز وجل: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.

لم يكن حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي مما يدعو إلى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل. أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح، فلم يرهقوا أحدا في شئون الدين، ومن أهم العوامل التي أعاقت تقدم الفتح الإسلامي في أوروبا وبالتالي ساعدت الإمارات المسيحية في شمال اسبانيا على التمركز وبناء قوة أخرجت المسلمين من الأندلس – النتيجة التي انتهت إليها معركة أبواتيه، في سهول فرنسا من أجل أكان اللقاء حاسما بين الإسلام والنصرانية في تلك المعركة[1] .

عموما لقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انقسام الفكر الأوروبي إلى تيارين أساسين تجاه الإسلام أكبرها وأوسعها انتشارا تبنى أفكارا وتطورات وأساليب رومانسية جديدة تعتمد فن الشحن العاطفي، وتأجيج المشاعر والغرائبية، والبحث عن الجماليات الطبيعية البدائية والأشياء النادرة الطريفة في الشرق، وأما التيار الأصغر حجما وتأثيرا فكان يستند نسبيا إلى المنهج التجريبي – الميداني – وإلى تحليل الوثائق والمعطيات أو استخدامها ولو بصورة جزئية. أما بالنسبة لذوي النزعة الدينية.المسيحية من علماء، ولا لاهوتيين، ولا مثيرين وروحانيين ومستشرقين أيضا، فهم في غالبيتهم « الدينية – الطائفية والمذهبية » التقليدية نحو الإسلام، أو أنهم أبدوا اللامبالاة وعدم الاكتراث تجاه ماسي عندئذ في الغرب: مشكلة الإسلام.[2]

[1] أبي عبيدة الخزرجي، بين الإسلاموالمسيحية، تح محمد شامة، ج1، دار مكتبة وهبة، 1998، ص20.

[2] د. اليسكي جور أفيسكي، الإسلام والمسيحية، دار المعرفة، الكويت، ط1، 1970، ص93.

المقارنة الفاشلة بين الإسلام والمسيحية:

بعض آيات من القرآن عالجت أمورًا روحية إيمانية ما ورائية كالجنة والنار، والقيامة والحساب الأخير، ثم أتى بنتف مصادر مسيحية مختلفة، سماها (تقاليد نصرانية)، بعضها من إنجيل المتى ومن أعمال الرسل قاتلا.

كأن القرآن ينقل نقلا مباشرا عن التوراة والإنجيل والتقاليد النصرانية، ونرى أن نضع أمام القارئ عينه منها، لكي يتبين أية براهين وآية شواهد أتى بها ليثبت أن القرآن منقول نقلاً مباشرًا.

قال في القرآن: أن الساعة الأخيرة من هذا العالم ستأتي بغتة، وأنها آتية لا ريب فيها.

أما في النصرانية: أن المسيح جيء بغتة لا توقعونها سيأتي كاللص ليلا وفي لحظة وطرفة عين.

في القرآن يصر القرآن أن الله وحده عنده علم الساعة ويردد بأن علمها عند الله " ربي[1]."

ويقول أو يضيف الحريري المزعوم متهكما ساخرا فيقول:

أما محمد على قربه من الله، فلا يعلم متى هذا الوعد.

وفي النصرانية: كذلك الأمر في النصرانية ذلك اليوم لا يعلمه أحد، لا الملائكة ولا الابن إلا الأب[2].

يختلف الرأي في القرآن عما إذا كانت هذا بات جهنم أبدية أم لها نهاية ونرى فيه رأيين متقابلين أو متناقضين :

1. من جهة أنها عذابات أبدية لا تزول .

[1] شريف محمد هاشمي، الإسلام والمسحية، ط1، مؤسسة الوفاد، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص(602-603).

[2] المرجع نفسه، ص603.

2. من جهة ثانية أنها منتهية لا بد أن نقف عند حد .

روابط الأديان :

إن الأديان السماوية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام لها هدف واحد يربطها ويجمع بينهما، هذا الهدف هو الأمان بإله واحد وإخلاص العبادة له دون ما سواه، وما فيها من اختلاف ليس واقعا على هذا الهدف وإنما هو مقتصر على الفروع والمناهج دون الأصول والأساس قوله تعالى: (لِكُلّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَة وَمِنهَاجا وَلَو شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّة وَٰحِدَة وَلَٰكِن لِّيَبلُوَكُم فِي مَآ ءَاتَىٰكُم فَٱستَبِقُواْ ٱلخَيرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ) [سورة المائدة الآية: 48)[1]

وعقيدة التوحيد هي أول مبدأ دعا إليه الإسلام ومكث رسول الله صل الله عليه وسلم ثلاث عشر سنة في مكة يدعو إليها وإلى محاربة الشرك وعبادة الأصنام وإنقاذ الإنسان من عبادة المخلوقات وتحرير عقله من العبودية لغير الله.

لقوله تعالى: (وَلَقَد أُوحِيَ إِلَيكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلخَٰسِرِينَ . بَلِ ٱللَّهَ فَٱعبُد وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) [سورة الزمر الآية: 65- 66)[2]

من مظاهر رحمة الله بخلقه أنه لم يفصل بينهم بفواصل تمزق وحدة البشرية وتقطع روابطهم وصلاتهم ،وإنما وضع روابط وصلات تجمعهم وتنشئ في قلوبهم المحبة والإخاء وتجعل المودة بينهم قائمة وترفع عنهم كثيرا من مشاق الحياة ومتاعها وتقوي الخلطة والتفاهم بين الإنسان وأخيه الإنسان، فأحل للمسلمين أكل طعام أهل الكتاب وذبائحهم والزواج بنسائهم. فقال سبحانه وتعالى:(ٱليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِتَٰبَ حِلّ لَّكُم

[1] سورة المائدة، الآية 47.

[2] سورة الزمر، الآية 65-66.

وَطَعَامُكُم حِلّ لَّهُم وَٱلمُحصَنَٰتُ مِنَ ٱلمُؤمِنَٰتِ وَٱلمُحصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلكِتَٰبَ مِن قَبلِكُم) [سورة المائدة الآية: 05)[1]

ولقد تضمنت هذه الآية الكريمة أهم مقومات الحياة وأقوى ما يربط الناس بعضهم ببعض ،ويزيل من بينهم الفوارق ويمحو بذور العداوة والجفاء والبغضاء من قلوبهم ويربطهم بروابط فولاذية يصعب ويعسر القضاء عليها. وأهم هذه الروابط حِل طعام المسلمين لغيرهم وحل طعام أهل الكتاب للمسلمين ثم إباحة زواج المسلمين من نساء أهل الكتاب، فالدين يعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكياتها ومظاهرها.[2]

قال ابن عباس: يعني بالطعام ذبائحهم وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء فذبائحهم اليهود والنصارى حلال للمسلمين أكلها لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه تعالى وتقدس، وثبت في الصحيح أن أهل خير أهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مطلية وقد سموا ذراعها وكان يعجبه الذراع فتناوله فنهش منه نهشة فأخبره الذراع أنه مفهوم فانظة وأثر ذلك في ثنايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبهره وأكل معه منها بشر بن البراء بن معرور فمات فقتلت به اليهودية التي سمتهما. ووجه الدلالة في هذه القصة أنه صلوات الله وسلامه عليه عزم على الأكل من الشاة ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمه من شحمها أم لا[3]. كما قال في قوله تعالى:(وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمنَا كُلَّ ذِي ظُفُر وَمِنَ ٱلبَقَرِ وَٱلغَنَمِ حَرَّمنَا عَلَيهِم شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَت ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلحَوَايَآ أَو مَا ٱختَلَطَ بِعَظم) [سورة الأنعام الآية: 146)[4]

[1]سورة المائدة، الآية 05.

[2]محمد أحمد الخطيب، مقارنة الأديان، دار المسيرة، أدرن/عمان، 2007، ص30.

[3]تفسير ابن كثير، ج2، مصدر سابق، ص 19.

[4]سورة الأنعام، الآية 146.

وقد وردت بعض كتب التاريخ أن المأمون بن هارون الرشد كانت أمه مسيحية وكان يذهب معها إلى الكنسية ويجلس على بابها حتى تخرج منها ويصحبها إلى البيت ،وليس للزواج المسلم أن يكره زوجته الكتابية على دخول الإسلام فلا إكراه في الدين ولها أن تتمسك بدينها وتبقى عليه دائها والأولاد كلهم ينتسبون إلى الأب وهو ملزم بنفقتها ونفقة أولادها.

وهاتان الرابطتان بين المسلمين وأهل الكتاب هما من رحمة الله بعباده فهو يعلم أن بعض المسلمين سيضطرون إلى الإقامة والعيش في دول غير مسلمة، فلو لم يبح لهم الأكل من طعام أهل الكتاب لشق عليهم ذلك. وربما هلكوا وماتوا جوعا وكذلك لو لم يبح لهم الزواج من نسائهم لوقعوا في فاحشة الزنا إلا من عصم الله ،وفسدت حياتهم وأيضا يعلم أن بعض أهل الكتاب يعشون في دول إسلامية فلو لم يبح لهم الأكل من طعام المسلمين لماتوا جوعًا فالله تعالى رحيم بعباده.[1]

[1] ابراهيم أحمد الوقفي، السماحة في الإسلام والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة د.ط، 2008، ص16.

الفصل الثاني: تسامح الأديان في الرواية الجزائرية

المبحث الأول: تعريف الرواية ونشأة الرواية الجزائرية

المبحث الثاني: المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية.

المبحث الثالث: مظاهر تسامح الأديان وتجلياته في الرواية الجزائرية

تمهيد

الرواية هي أكثر من مجرد قصة تُحكى، أنَّه نافذة آخذة إلى عالم متشابك من الافكار والمشاعر والصراعات التي يعيشها البشر، فعندما يتناول الكاتب قضايا انسانية وعلاقات معقده بين الشخصيات ويستعرض تحولاتهم وتطوراتهم عبر الزمن، حيث تتنوع مواضيع هذه الأخيرة ما بين الخيال والواقع والتاريخ والفانتازيا، لكنها تسعى دائما الى تقديم صوره حية عن صراع الانسان مع ذاتة ومع الآخر.

فالرواية نوع سردي نظري أصبحت عنوانا للعرب بعد ما كان الشعر هو المنطلق الاول والاساسي للساحة الأدبية، فهي تروي أحداث متنوعة من خلال شخصيات وحبكة معقدة وغالبا ما تكون طويلة نسبيا، يتم تطور الاحداث فيها بشكل تدريجي وقد تتعدد الابعاد الزمنية والمكنية والعاطفية فيها لتعطي جوانب متعددة من الحياة البشرية.

المبحث الأول: تعريف الرواية ونشأة الرواية الجزائرية

الرواية في اللغة:

جاء تعريف الرواية في عده معاجم لغوية عربية حيث نجد مادة "رَويَ" في قاموس المحيط "رَويَ" من الماء واللبن، روى، تروَّى وارْتَوى بمعنى الشجرُ وتنعم، والرواية: المَزادَةُ فيها الماءُ والبعيرُ والبغلُ، والحِمارُ يُستقى عليه.

الرَّويُّ: خرف القافية، الرَّي: الريح الطيبة[1].

كما نجد مادة "روى" في مقياس اللغة لابن فارس: الراء والواو والياء اصلا واحد ثم يشتق منه فالأصل ما كان خلاف العطش فالأصل رَويتُ من الماء ريا.

فقال الأصمعي رَويْتَ على أهلى أرْرى رَيًّا وهو راو من قومٍ رُواةٍ، وهم الذين يأتونهم بالماء، فالأصل هذا فما شبه به الذي يأتي القوم بعلم أو خبر فيرويه، كأنه أتاهم بريّهم من ذلك.[2]

من خلال هذين التعريفين اللغويين يمكن القول إن الرواية في اللغة هي مصدر الفعل "رَوَى" ويعني نقل الاخبار أو القصص.

بالإضافة إلى ذلك نجد "راوٍ" لغويا: ناقل الحديث بإسناد أي الذي يخبر المستمعين بما سمعه الآخرين مع ذكر أسماء هؤلاء تأكيدًا لصدقه وتبرؤا مما قد يؤخذ على الحديث من نقص أو تشويه.

من يسرد على المستمعين حكايات وأخبار، أو يتلو عليهم عادة عن ظهر قلب ما حفظه من أقوال مأثورة، أو وصل اليه من أيام العرب وأخبار القبائل، أو ما وعى من شوارد

[1]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المصدر السابق، ص (685– 686).

[2]–فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة المصدر السابق، ص 453.

اللغة، وقصائد الشعر. ولقد كان لكل شاعر من العرب رواية أو رواة يحفظون أبياته ويتحولون الى نوع من الدواوين الحية.[1]

من جهة آخرى نجد مادة "روى" يقال روى الحديث والشعر يرْويهِ روايةً عنه قال الجوهري: رَوَيْتُ الحديث والشعرَ روايةً فأنا راوٍ في الماء والشعر، من قومٍ رُواةٍ، ورويتُهُ الشعر ترويةً أي حملته على روايته، وأروَيْتُهُ أيضا، ونقول أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل أرويها الا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها.[2]

الرواية في هذا السياق تشير إلى الارتواء بالماء والنقل للحديث والشعر وهذا من خلال الجذر اللغوي "روى".

الرواية اصطلاحًا:

الرواية سرد قصاصي نثري طويل، يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والافعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد،لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى نشأ مع البواكير الاولى لظهور الطبقة البرجوازية وما صاحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية.[3]

وجاء في كتاب الكلمة في الرواية لمخائيل بختين أن الرواية : كلاّ ظاهرة متعددة في أساليبها متنوعة في أنماطها الكلامية، متباينة في أصواتها يقع الباحث فيها على عدة وحدات أسلوبية غير متجانسة ،توجد أحيانا في مستويات لغوية مختلفة وتخضع لقوانين أسلوبية مختلفة.[4]

[1]– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص 120.

[2]–ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص1786.

[3]–براهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر بين المتحدين، تونس، ط1، ص 176.

[4]–ميخائيل بختين، الكلمة في الرواية، تر يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، د.ت، ص9.

والرواية في جوهرها نوع أدبي يصور فردا مأزوم غير متصالح مع مجتمعه ،وهذا الفرد لن يكون الا شخصية انسانية خرجت من أرض الواقع، واستمدت منها معظم مكوناتها المادية والمعنوية، أزمة أبطال الروايات في الحقيقة أزمات المجتمع الذي يعيشون فيه، وهي في الوقت ذاته أيضا قد تكون أزمة المؤلف نفسه مع واقعه.[1]

من الصعوبة يمكن إذا الإحاطة بالرواية، ولهذا الامر عدة أسباب: في الرواية لا تعرف قواعد ثابتة وقاطعة، وأصولها غائمة ومثار جدل، وموضوعها قد تطور مع الزمن ولا حدود لتعدد وتغير طريقتها و ونبرتها، وعندما يقترح مختص في اطار روح موضوعية، تعداد السمات الملائمة المكونة "للنوع الروائي" فهذا ما يمكن ان يقرأه هاوي الروايات الذي يود قبل أن يستعرض تعدد المواقف النظرية، أن يعتمد على تعريف بسيط وواضح:" الرواية مؤلف مكتوب نثرًا، رواية نوع أدبي دون شكل محدد سلفا، رواية لا تعرض الا المحسوس، الرواية تخييل، الرواية حكاية، الرواية محكي".[2]

إعتمادًا على هذا يمكن اعتبار الرواية سرد قصصي ،ينقل الوقائع والأحداث بشكل وأسلوب مختلف، تتضمن شخصيات والتطورات زمنية ومكانية تتناول جوانب عديدة من حياه الراوي.

والرواية من حيث هي جنس أدبي راقي، ذات بنية شديدة التعقيد، متركبة التشكيل تتلاحم فيما بينها وتتظافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا يعتري إلى هذا الجنس الحي والادب السري فالغة هي مادته الأولى، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر.[3]

يقول رجوالان:" رواية نمط أدبي دائم التحول والتبدل، يتسم بالقلق بحيث لا يستقر على حال" وفي سياق ذاته يؤكد باختين واصفا الرواية بأنها: " المرونة ذاتها فهي تقام على

[1]– طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، د.ط، د.ت، ص 83.

[2]– بير شارتيه، مدخل إلى نظريات الرواية، تر عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال للنشر الدار، البيضاء المغرب، ط1، 2001، ص10.

[3]–عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1998، ص27.

البحث الدائم وعلى مراجعة أشكالها السابقة باستمرار، ولابد لهذا النمط الادبي من أن يكون كذلك؛ لأنه انما يمد جذوره من تلك الأرضية التي تتصل اتصالا مباشرا بمواقع ولادة الواقع".[1]

إستنتاجا من هذا يتضح أن الرواية فن أدبي نثري طويل يعتمد على الخيال وتتكون من سلسلة من الاحداث المتصلة التي تتطور عبر الزمن، حيث تعكس قيم المجتمع وتطلعاته وتهدف الى استكشاف البشرية بعمق.

نشأة الرواية الجزائرية :

نشأت الرواية الجزائرية في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث تأثر الأدب الجزائري بشكل كبير بالثقافة الفرنسية، فقد عكست الرواية معاناة الشعب قبل وبعد الاستقلال ثم تطورت هذه الأخيرة لتأخذ طابعا وطنيا يعكس القضايا الإجتماعية والهوية الثقافية للجزائريين، وأصبحت وسيلة للتعبير عن التحديات التي واجهتها الجزائر.

حينما نتحدث عن الأدب الجزائري نرى بأنه شبيه بالأدب العربي في مختلف البيئات ،فإذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حيث نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية ونحو ذلك ،فإنه في الجزائر كان عكس ذلك تماما إذا لم يأت لينشر حضارة وإنما جاء ليسلب أفكار الشعب، ويزور تاريخه ويحطم كيانه ويستغل ثروته، وبذلك تعرضت شخصية الأدبي التي ظلت محتفظة بمقوماتها وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملامح، لأنها لم تستطع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء به الاحتلال في عنفوانه وانتقامه.[2]

[1]–الطيب بوعزة، ماهية الرواية، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص 15.

[2]أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط 5، 2007، ص 22.

فالرواية الجزائرية كغيرها من الروايات العربية نشأت لعدة أسباب وعوامل، فكان أبرزها الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس معالم الهوية الثقافية، والقضاء على الحركة الثقافية، فلا يمكن بأي حال من الأحوال تناول نشأة وتطور الرواية الجزائرية بمعزل عن الوضع الاجتماعي والسياسي الجزائري.[1]

فنميز مرحلتين هنا:

مرحلة ما قبل الثورة: إن مرحلة ما قبل الثورة كانت تمتاز بانصراف الأديب والشعب معا إلى العمل من أجل تحرير الوطن، وهذه الغاية كانت سياسية أكثر منها اجتماعية فلملاحظ في أدب ما قبل الثورة أنه كانت له شعاراته ،فقد كان يردد من حين لآخر شعارات العروبة والإسلام والوطنية والأمة والاستعمار[2].

مرحلة الثورة:

الأديب قام بدور آخر لا يقل أهمية ولا التزاما عن الدور السابق، وهو دور مزدوج تمثل في نشر القضية الجزائرية في البلدان الشقيقة والصديقة من جهة ،وتجنيد الجزائريين للإسهام في المعركة حتى القضاء النهائي على القوى الاستعمارية الباعية من جهة ثانية.[3]

يؤرخ المؤلف لبدايات الرواية الجزائرية العربية بأوائل السبعينات وهذا بالرغم من ظهور بذور لها قبل التاريخ مثل " غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، التي تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية، ويرى أن من أسباب تأخر ظهور الرواية إلى هذا التاريخ صعوبة تناول هذا الفن، لاحتياجه أكثر من أي آخر إلى الصبر والآناة والتأمل الطويل وانعدام تقاليد روائية جزائرية يمكن محاكاتها، واحتياج فن الرواية إلى لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، وهو

[1] صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، ط1، 2008، ص 12.

[2] محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983، ص (100-102).

[3] المرجع نفسه، ص 102.

ما كان يفتقده كتابنا قبل السبعينات ويرى المؤلف محمد مصايف أن أول رواية جزائرية كتبت بالعربية هي " روح الجنوب" ولابن هدوقة وأن سبقتها رواية " مالا تذروه الرياح" إلى الظهور، ثم يضم إلى الرواتين رواية " الزلزال" ورواية " اللاز" للطاهر وطار.[1]

فبشأن الفترة الأولى يمكن الحديث عن شكلين من أشكال مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر أحدهما السياسي والثاني المسلح وتمثل ذلك في ثلاث تيارات:

1- التيار الأول: كان يطلب بتحقيق المساواة بين الأغلبية الجزائرية والأقلية الاستعمارية.
2- التيار الثاني: استقلالي برز بعد الحرب العالمية الأولى ممثلا في نجم شمال إفريقيا.
3- التيار الثالث: هو إصلاحي اجتماعي ويتمثل جمعية العلماء المسلمين[2].

في هذا المقام تشير إلى المحطات البارزة في تاريخ الشعب الجزائري، ويمكن أن تحدد منها محطات ثلاث هي:

1/ ثورة الفلاحين (1871-1916).
2/ أحداث 8 ماي 1945
3/ ثورة نوفمبر (1954- 1962)

تكاد ترتبط الرواية الجزائرية بهذه المحطات الثلاثة كما نرى لاحقا وسنلقي الضوء على هذه المحطات باختصار.

1/ ثورة الفلاحين (1871-1916)

وقعت هذه الانتفاضة ابتداء من عام 1871، وهي انتفاضة فلاحية توجد فيها ملاك الأراضي من الجزائريين الذين ضايقتهم السلطات الفرنسية بسلب أراضيهم، والفلاحين البسطاء الذين بدورهم كانوا يودون طرد المستعمر، وقد تزعم هذه الحركة أحمد المقراني وبطبيعة الحال فإن فرنسا وأدنابها كانوا ضد المقراني والمتلفين حوله من الفلاحين ،فبعد أربعة أيام من قيام الانتفاضة كتب "بن قانا" للأميرال " غيبدون" المسؤول عن القمع يقول له:

[1] محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 138.
[2] صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، المرجع السابق، ص (19-20).

نحن من أقدم الخدام للحكومة الفرنسية، وقد علمنا أحمد المقراني قد تمرد وعلى كل حال ابتداء من هذا اليوم سنبتعد عنه وسنحاربه بكل قوة كما لوكنا فرنسيين.

يرتبط تاريخ هذه الثورة بظهور أول بذرة قصصية في الأدب الجزائري وهي " حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد مصطفى بن ابراهيم الذي صادر المستعمر أملاكه وأملاك أسرته ولعل ظهور هذه الرواية انعكاس لنتائج الحملة الفرنسية على الجزائر، وإن كانت الحكاية لا تصور ذلك.[1]

2/ أحداث 8 ماي 1945

والتي تكمن أسبابها في القهر، الممارس ضد الشعب الجزائري والقوانين المجحفة التي كانت، تصدرها فرنسا، نستهدف منها اخضاع الشعب وتركيعه للآلة الاستعمارية إن انتفاضة 8 ماي 1945 تعتبر نقطة تحول على ظل المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية.[2]

ثم جاءت بعد هذه الأحداث أعمال بدأت تعانق الفن الروائي من حيث الشخصيات وصياغة اللغة، وجدية الأفكار، وهي رواية " غادة أم القرى" للكاتب أحمد رضا حوحو والتي تتحدث عن معاناة المرأة ،وأهدى هذا الكتاب للمرأة الجزائرية وذلك سنة 1947.[3]

3/ أول نوفمبر 1954

التي انصهرت فيها كل الأحزاب وتغير أسلوب الحياة والتعامل مع الآخرين وفي هذه الفترة ظهرت أعمال روائية ممثلة في:

- الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي 1951.

[1] صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص 21.

[3] ميلودي منى، حسيني أمينة، بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية " تفاح الجن" الجميلة مراني، أنموذجا- مذكرة ماستر قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المدية الجزائر، 2024/2023، ص 16.

– الحريق لنور الدين بوجدرة عام 1957.

بطبيعة الحال فإن صدى الثورة في الأدب سيحدث لاحقا، أما عند لهيب الثورة فكان لغو رصاص القول الفصل والأوحد.[1]

فهنا يمكن القول أن الفن الروائي في السبعينات شهد تطورا وتنوعا لم يعرف له مثيل من قبل، ومن أهم أقطاب الرواية الجزائرية في هذه الفترة "الطاهر وطار"، "عبد الحميد بن هدوقة"، "رشيد بوجدرة"، فظهور أعمال" طاهر وطار" بدأ النقاد في الجزائر والمشرق ينظرون بجدية إلى عناصر النفوذ والتفوق التي طبعت أعماله الروائية، فتغيرت نظرة هؤلاء إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، بعد أن كانت تنطلق من موقف الشفقة والدعم العاطفي.

فالسنوات العشر التي أعقبت الاستقلال مكنت الجزائريين من الانفتاح على العربية المعاصرة، فلجأو إلى الكتابة الروائية للتعبير عن الواقع الجزائري بكل تفاصيله وتعقيداته ،سواء بالعودة إلى مرحلة الثورة المسلحة أو بالغوص في الحياة المعيشية الجديدة التي بدأت ملامحها بالظهور عقب التغييرات الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية.[2]

بناءا على هذا قد واجهت الرواية الجزائرية في بدايتها عدة تحديات منها: التأثير الاستعماري فقد كان للمستعمر تأثير على الأدب الجزائري فقد ،كان هناك ضغط في استخدام اللغة الفرنسية بدل العربية ،وكذلك التحديات الثقافية والاجتماعية كانت هناك حاجة لتحقيق التوازن بين الحفاظ على التراث الثقافي والانفتاح على التقنيات الأدبية الحديثة ،بالإضافة إلى التركيز على الذاكرة والهوية فكانت من المواضيع الرئيسية التي تناولها الأديب الجزائري.

[1] صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، المرجع السابق، ص 22.

[2] أحلام معمري، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر، ع 20، الجزائر،2014، ص 60.

المبحث الثاني: المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية.

المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية تعد من المواضيع المهمة التي عكست تطورات اجتماعية وسياسية كبيرة في تاريخ الجزائر، خاصة بعد الاستعمار الفرنسي وحروب الاستقلال والتحديات التي مرت بها البلاد في فترات مختلفة، تم توظيف المرجعية الدينية في الأدب الجزائري بعدة أشكال لتسليط الضوء على دور الدين في الهوية الثقافية والعلاقات الاجتماعية، وكذلك في مواجهات العنف والصراعات السياسية.

المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية تعتمد على مزيج في التاريخ الديني، الهوية الوطنية، التقاليد الاجتماعية والتأثيرات السياسية، هذه المرجعية لا تختصر فقط على الجانب الديني، بل تتداخل مع القيم الانسانية، حيث تسعى الرواية الجزائرية إلى تصوير العلاقة بين الأديان، وتفاصيل الحياة اليومية التي يتعامل فيها الناس مع القيم الدينية والتحديات التي تطرأ عليها في سياقات متعددة.

المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية:

مفهوم المرجعية:

ورد في معجم المصطلحات أن المرجعية علاقة بين العلامة وما تشير إليه"[1]

وعند اللسانيين تعني:" وظيفة تتيح للسمة أن تحيل على المتحدث عنه على نحو تعيين المرجع حتى كأنها أو كأنه ضوء للتقريرية"[2] فقد ربط المرجعية بلفظ الوظيفة.

[1]–سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص

[2]–عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص387.

ويعرفها جان ديبوا على أنها:" الوظيفة التي بواسطتها تحيل سمة ما على موضوع للعالم خارج عن حقل السيمائيات حقيقي أو خيالي، إن الوظيفة المرجعية هي لغوية أساسا غير أنه من غير معقول وقف وصف اجراءات الاتصال على هذه الوظيفة وحدها[1].

المرجعية الدينية: نقصد بالمرجعية الدينية ما يقدمه السحر العربي الاسلامي من خصوصيات وأهمها مرجعيتة النصوص المقدسة من قرآن وأحاديث نبوية وتشكله كثرات فكري الاسلامي الذي تطرق لمسألة يصعب تناول كل ذلك في صفحات.

المرجعية الدينية في الجزائر: يتبع المسلمون مذهب أهل السنة والجماعة ويعتدمون على العقيدة الأشعرية والفقه المالكي، كما أن الشوءون الجزائرية الدينية على ممارسة شعائر الدين الاسلامي وتعتبر المرجعية الدينية الإطار الاصولي والقانوني التي تهدف الى توجيه المجتمع نحو القيم الإسلامية السمحة وتعزيز الوحدة الوطنية.

أما إذا تحدثنا عن المرجعية الدينية في الرواية التي نجد من خلالها ما يلي:

الشخصيات الدينية: يتناول الكتاب شخصيات دينية بارزه مثل الأنبياء، الصحابة، والائمة.

مفاهيم دينية: مناقشة مفاهيم مثل الإيمان، التوبة، والقدر...

الأحداث الدينية: استحضار أحداث تاريخية، دينية، مثل الغزوات أو الفتوحات.

المرجعية الدينية في الروايات الجزائرية (الطاهر وطار):

تشكلت رواية "الموت والعشق في الزمن الحراشي"، "اللاز" الكتاب الثاني، البداية الحقيقية لإشارة وطار للحركة الإسلامية في الجزائر وقد تواصل ذلك في "الشمعة والدهليز" و"الولي طاهر يعود الى مقامه الزكي" و"الوالي الطاهر يرفع يديه بالدعاء" حيث عالجت هذه الروايات الظاهرة الاسلامية، الحكم الاسلامي. وإذا جئنا الى رواية "الشمعة والدهاليز" يشير

[1]–عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، المرجع السابق، ص(389 – 390).

إلى الحركة الإسلامية لقوله: "لبهذا السبب ولغرض تجاوز محنة الظلمات ينبغي قيام الدولة الاسلامية، الاسلام هو الشمعة الوحيدة القادرة على انارة كل الدهاليز والسراديب."[1] لكن هذه الشمعة سرعان ما تتغير الى دهليز من الدهاليز فيما يأتي أو جاء في الرواية.

أمَّا بالنسبة للشخصيات الدينية التي استحضرها "طاهر وطار" نجد شخصية "عمار بن ياسر" أحد رموز الحركة الاسلامية ليمزج بين فكرتين فكرة الشاعر وفكرة عمار بن ياسر، لكن نهاية الشاعر هي الشهادة والموت، موت من أجل الفكرة لا العقيدة، أمَّا عمار بن ياسر فواصل المسار لكن لا ندري إلى أين ولا كيف واصل.

-رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه.

"نعيد الجهاد في سبيل الله إلى ما كان عليه ونستأنف الفتوحات نستعيد القسطنطينية والمغرب والأندلس، ونصل هذه المرة موسكو وباريس وكوبنهاغن والهند وكل العالم."[2]

ومع تركيز على ذكر الولي الطاهر:" انا صاحب المقام الزكي وسيد هذه الفيافي وحامي الأمة من الوباء".[3]

-المرجعية الدينية في رواية محمد مفلاح:

المرجعية الدينية: إذ شكل:" التراث الديني مرجعية دلالية لها حضورها القوي والفعال بخصوصيته وتميزه وقدرته على النهوض بانفعالات المبدع وتجاربه، والتأثير في الوجدان الجمعي لأن المعطيات الدينية تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، كما قدمت من تطورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة.

[1]-طاهر وطار، الشمعة والدهاليز، دار الهلال، ط1، 17 يونيو 1905، ص11.

[2]-الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه، دار المزمن، ط1، 1996، ص66.

[3]- الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه، المرجع نفسه، ص 68.

محمد مفلاح من ضمن الروائيين الذين تفاعلوا مع المرجع الديني وتعاملوا معه، نجده قد رجع إليه في كثير من رواياته، وظفه بأشكال مختلفة تعبر عن ثقافته الدينية الواسعة، وصبه في قوالب متناسقة تستلذ لها الآذان تطمئن لها القلوب، كذلك سنحاول الكشف عن المرجعية في رواياته:

نجد في روايات محمد مفلاح:

القرآن الكريم: في رواية شعلة المايدة: في قوله: " ثم تلا الآية الكريمة:" يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"[1]

1-" ألا بذكر الله تطمئن القلوب"[2]

تدخل الشيخ التواتي قائلا بعد البسملة: يقول الله تعالى:" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"

2- الحديث النبوي الشريف في رواية محمد مفلاح:

نجد في رواية "شعلة المايدة" كما ذكر بعض الأحاديث النبوية التي تحت على الرباط (من رابط في سبيل الله يوما وليلة كانت كصيام شهر وقيامه فان مات جرى عليه عمله الذي كان وامن الفتان وأجرى عليه رزقه)[3]

- وفي الليل كان الطلبة يتلون القرآن الكريم وصحيح البخاري والمدائح النبوية.

وفي رواية "انكسار" نجد الحديث النبوي في الحوار الذي جاء بين "عباس البري" و "موسى العكافي" حيث جاء فيها:فقال له عباس بلطف: الحياة أرهقتها ياسي موسى"

[1]-سورة الأنفال، الآية 45.

[2]- سورة الرعد، الآية 28.

[3]-سعيد بنكراء، سيسيولوجيا الشخصيات السردية، رواية الشراء والعاصفة الحنامية أنموذجًا، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص (29-30).

– وقال له موسى العكافي: " الدنيا لا تساوي جناح بعوضة يا أخي عباس"

3– الشخصيات الدينية:

تعد الشخصية الدينية في الرواية شفرة لا دلالة عند توظيفها، يجب أن ينظر الى نجاح التوظيف أو فشله، من خلال رصد مدى اندماج الشخصية داخل بنينه النص.3

– ولهذا نجد محمد مفلاح وظف عدة شخصيات رئيسية في رواياته المتعددة.

أولها شخصيه الرسول:

من أهم الشخصيات الحاضرة في الروايات "محمد مفلاح " شخصية خاتم الانبياء والرسل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لها دلالات وظيفية في الرواية.

– نجدها في رواية "الانفجار": ثم واصلت مطالعة كتاب من السير النبوية." توحي السيرة النبوية الى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

شخصية الخلفاء الراشدين:

–علينا أن نتحرك ونقضي على الغاصبين، متى تتحرك قريتنا؟ يا سي عبد الحميد"[1]

– شخصية الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول:" أعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا." وهذا هو قول علي بن أبي طالب.

–شخصيه الامام البخاري:

جاء على لسان السارد: وتلا الطلبة والمشايخ القرآن الكريم في المساجد وصوحوا بالأناشيد والمدائح النبوية، وقرأوا صحيح البخاري.[2]

[1]– محمد مفلاح، روايات محمد مفلاح، الاعمال الغير والكاملة، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2007.

[2]– المرجع نفسه، ص 109.

على ضوء ما سبق يتضح أن المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية ليست مجرد مكون ثانوي أو خلفية ثقافية جامدة، بل هي عنصر حي وفعال ساهم في تشكيل البنية الدلالية للنصوص الرواية ،ويعكس التفاعل العميق بين الدين والواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزائر، لقد استطاع الروائي الجزائري أن يكيف هذه المرجعية بحسب السياقات التاريخية المختلفة، من مرحلة الاستعمار التي اتخذ فيها الدين طابعًا تحرريا، الى مرحلة الاستقلال التي شهدت تقلبات في الخطاب الديني، وصولاً إلى مرحلة العشرية السوداء، وهكذا فان المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية تمثل نافذة لفهم تحولات المجتمع، مجهرًا يكشف تناقضاته وأداة جمالية وفكرية تسمح بتعميق الرؤية الانسانية والوجودية التي تحملها النصوص السردية.

المبحث الثالث: مظاهر تسامح الأديان وتجلياته في الرواية الجزائرية

- **مظاهر تسامح الأديان وتجلياته في الرواية الجزائرية:**

التسامح الديني في الأدب الجزائري، خاصة في الرواية الجزائرية يظهر بشكل متنوع ومتجلي في العديد من الأعمال الأدبية على سبيل المثال شخصية الأمير عبد القادر في رواية كتاب الأمير تعتبر نموذج للتفتح والتسامح الديني والإنساني، فقد شكلت الجزائر بمر تاريخها الطويل بوتقة انصهار لعدة ديانات أبرزها الإسلام والمسيحية واليهودية، ما جعل من فكرة التعايش والتسامح بين الأديان مسألة حيوية ومهمة في بناء الهوية الوطنية في الأدب الجزائري بفضل الروايات المتنوعة والمتميزة. يعكس هذه المكونات الثقافية والدينية ويطرح العديد من القضايا المتعلقة بالقبول المتبادل والاحترام بين الأفراد وخلفيات الدينية والإنسانية.

تنقل الروايات الجزائرية صورة غنية عن كيفية التعامل مع التنوع الديني سواء في فترات الاستعمار الفرنسي أو ما بعد الاستقلال وتقدم نقدا اجتماعيا يؤكد على أهمية التسامح في أحد الأسس الأساسية للتعايش في مجتمع متعدد.

تأتي رواية "الخلان" لأمين الزاوي كواحدة من الروايات الجزائرية التي استأنست بالتاريخ لتنقل لنا أحداث مرتبطة بتاريخ الجزائر زمن الاحتلال الفرنسي. أياما قليلة قبيل اندلاع ثورة نوفمبر التحريرية. واستلهام النص الروائي المغاربي للتاريخ يعود في الأصل إلى حتمية الشعور بالانتماء إلى السلف وفي هذا الصدد كانت الحاجة ماسة للبحث في ثنايا الماضي بغرض التعرف على هوية الذات ومنها استحضار التاريخ ضروري في الأعمال الأدبية من أجل تأكيد ذواتنا.[1]

[1]– نذير بيبي، زهيرة بارش: " صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة رواية " الخلان " لأمين الزاوي "، المجلد10، العدد1، 2023، ص 1409.

وتسرد لنا الرواية قصة ثلاث أشخاص فرقتهم دياناتهم واجتمعوا على حب الوطن أي جمعتهم قضية إنسانية عادلة تتمثل في الدفاع عن الجزائر وتحريرها من الاحتلال الفرنسي الذي عرف باضطهاد هو جرائمه من الشعب الجزائري.

حتى ظهرت أصوات مناهضة لفرنسا من داخل الثكنات وكان خصوم سياستها غير العادلة يتكاثرون يوما بعد يوم من المسلمين واليهود والنصارى.

فصاحب الرواية يرى أن رفض الاحتلال لم يكن مقتصر على الأهالي من المسلمين ويقرب محاولة بعض الإقليات المقيمة في الجزائر التهديد بأعمال القمع والاضطهاد التي يقوم بها الفرنسيون من الشعب وكشفت لنا الرواية عن القيم الإنسانية المخزنة في كل روح بشرية.[1]

وانعكست في علاقة الأصدقاء الثلاثة: أفولا يرشدي مسلم من الأهالي أجبرته الظروف الاجتماعية التي تسببت فيها السياسة الاستعمارية لفرنسا على الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي. لتنشأ بعدها علاقة صداقة مع قائد الثكنة النقيب ليفي النقاوة زمرمان يهودي الديانة، وتسرد الرواية كيف تطورت هذه العلاقة رفقة المسيحي" أوغسطين قيران" مجند فرنسي يحول إلى هذه الثكنة، ثم يتفق الثلاثة على ضرورة الالتحاق بالمجاهدين والدفاع عن الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، فجسدت سيرة هذه الشخصيات نموذجا ًلحياة الإنسان الجزائري الذي تتنوع أصوله وتتعدد ثقافاته.

جاءت الرواية بدعوة صريحة لضرورة التعايش بين الأديان في الجميع متساوين وباحترام، اليهودي والمسيحي والمسلم والشيوعي... ولقد روج لهذه الفكرة الشاب "خوليو" ذو الأصول الإسبانية الذي كان يحفظ مئات الطرائق والنكات الاجتماعية والسياسية عن المسلمين واليهود والنصارى، والمتابع لكيفية سرد الأحداث يكتشف أن صاحب الخلان أراد تجسيد ثقافة الاختلاف.

[1]– – نذير بيبي، زهيرة بارش: " صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة رواية " الخلان " لأمين الزاوي "، المرجع السابق، ص 1410.

التي ظهرت في تناوب الشخصيات الثلاثة على سرد الأحداث، يكشف أن صاحب الخلان أراد تجسيد ثقافة الاختلاف التي ظهرت في تناوب الشخصيات الثلاثة على سرد الأحداث كنوع من منح الآخر حقه في تقديم ذاته وإبداء مواقفه واختيار التوجهات العامة لحياته.

تناول سعيد خطيبي في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل:

مبدأ التسامح الديني والتعايش الإنساني بين الشخصيات رغم الاختلاف الموجود بينها، سواء من حيث الديانة أو غيرها من الاختلافا تالأخرى كالعادات والتقاليد إلا أن هذا لاينكر وجود تقارب واندماج بين الناس في شتى مجالات الحياة التي تحمل كل معاني الإنسانية والمشاعر النبيلة وتقديم يد العون في ما بينهم من حيث نجد أن هذا النوع من التعايش يتجلى في الرواية من خلال بعض الشخصيات: ويتمثل ذلك في مساندة سليمان (عربي مسلم) لجوزيف (يهودي فرنسي) عند إجرائه لعملية على مستوى العين حيث يقول جوزيف: كان يجلسُ على طرف سريري يميلُ بجذع جسمه الطويل يشد على يدي ويكرر:

- ✓ شده وتفوت !
- ✓ الله يخليك لي[1] !

يتجسد هنا مظهر من مظاهر التعايش الإنساني حيث بين لنا سليمان المسلم بأنه لا يهتم بدين الآخر ولا بعرقه بل بالقيمة الإنسانية التي تعد أولى من ذلك.

كما يظهر التسامح والمساعدة للتغيير مهما كان دينهُ فالتسامح الديني والتعايش الإنساني يحثُ على الرحمة ومديد العون للطرف الآخر وهذا في قول جوزيف:

لقد سبق لي أن أقرضت ُالكثيرين مالا ًمن جيران ومن أشخاص لم أكن أعرفهم كما ينبغي.

[1]– نجلاء سبتي، جهينة بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة " أربعون عاما في انتظار إيزابيل "، لسعيد خطيبي أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الماستر أدب حديث ومعاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2021/ 2022، ص 23.

ولم يعيدوا لي ما اقترضوا مني لكن لم يتحرج أتفهم وضع الناس الصعب وأتغاضى في حالات كثيرة عنهم.[1]

وأخيرا ًيجد الكاتب هنا يصور لنا صفات وأخلاق الإنسان المسلم الذي يسعى دائما إلى التعايش والتسامحم عالآخر رغم اختلاف ثقافته وديانته فهو يركز على الإنسان كموضوع بعيداً عن الأمور الشكلية أو العرقية فقد قدم رؤية للتصالح بين المسلمين واليهود وعمل على كسر الطابوهات التي تقف في وجه التسامح الديني بين الأفراد.

تتجلى مظاهر تسامح الأديان في رواية أن احاييم للحبيب السائح:

من خلال علاقة الصداقة بين البطلين أرسلان المسلم وحاييم اليهودي حيث تصور الرواية كيف يتعايش هذان الشخصان رغم اختلاف دياناتهم ويقفان معا ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

يجسد حاييم نموذجا ًمثاليا لليهود الجزائريين الذين آمنوا بقيم المواطنة الجزائرية كما تبرز الرواية أيضا تحديات التعايش بعد الاستقلال، حيث يواجه حاييم معارضة من بعض الأهالي لكن أرسلان يدافع عنه كمواطن جزائري.

إن حاييم باعتباره شخصية يهودية كان لها دور في مساعدة الثورة والثوار فرغم جنسيته وانتمائه إلى الطائفة اليهودية التي كانت مقيمة بالجزائر. إلا أنه كان من المؤيدين للثورة ومبادئها.[2]

اتسمت العلاقة بين الشخصيات في الرواية بالتسامح والتعايش المبني على إدراك وفهم الآخر دون الدخول في سجال عقائدياً و عرقي إذ توطدت بين الشخصيتين صلة متينة، لم يؤثر عليها الحقبات التاريخية الماضية أو الحاضرة، فلقد تشكلت بينهما صلة وشائح إذ بدا

[1]– نجلاء سبتي، جهينة بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة " أربعون عاما في انتظار إيزابيل "، لسعيد خطيبي أنموذجا، المرجع السابق، ص 24.

[2]– بن بغداد أحمد: " تمظهرات صورة اليهودي في الرواية العربية، التاريخ والاستشراق رواية " أنا وحاييم " أنموذجا"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 15، العدد01، سنة 2023، ص 13.

من المستحيل الفصل بين الشخصيتين لذلك بنى ونسج الروائي الحبيب السائح في متن روايته الاستمرارية والارتباط الوثيق بين أرسلان وحاييم بناء على هذا الإطار النظري استمرار التسامح والانفتاح واحترام الخصوصيات والاختلاف.[1] كما نجد أيضا أن الحبيب السائح طرح فكرة جوهرية مفادها أن الاختلاف لا يولد العداوة والبغضاء لأن الإنسانية هي الأشمل وطعم الحياة الهادئة تقوم على تقبل الآخر والتحاور معه والاختلاف في الدين والمعتقدات ليس سبب اللانغلاق على الآخر بل يجب الانفتاح والتسامح ما دمنا نشترك في الخلق يبقى المعتقد حرية شخصية.[2]

تتجلى علاقة التسامح الديني في رواية تلك المحبة الحبيب السائح:

من خلال عدة مواقف بين الشخصيات وتمثل ذلك في علاقة أهل أدراد المسلمين مع المسيحيين المتمثلين في شخصية جبريل: «كان أهل أدراد لا يكنون لجبريل عداء. ولايذكرون أباه بسوء، تحدثوا عن شخص طيب اسم وجوزيف وينادة يوسف ويأكل طعامهم ويخدمهم بنصائح لصحتهم مقدماً لهم الكنينة وبعض المراهم » هنا قد سادت علاقة تسامح والمحبة والتعاون والتآلف بين القلوب وأصبح التعايش مع الآخر تعايشاً سليماً.[3]

لقد تناول الأدب الجزائري خاصة الرواية الجزائرية موضوع التسامح الديني فمن أهم الروايات التي عكست هذا نجد كل من رواية سونات الأشباح القدس ورواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج حيث حاول في هذين العملين أن يتجاوز الصورة السلبية عن اليهود وقد مصورة لليهودي الطيب والقابل للتسامح والتعايش وكذلك رواية وصية المعتوه لإسماعيل يبرير رسم صورة نموذجية للتعايش بين الأديان أساسها الحوار والاحترام ونجد

[1]– بن بغداد أحمد: " تمظهرات صورة اليهودي في الرواية العربية، التاريخ والاستشراق رواية " أنا وحاييم " أنموذجا"، المرجع السابق، ص 15.

[2]– نور الهدى غرابة، سليم كرام: " المرجعيات الثقافية وبناء المتخيل السردي، قراءة في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد10، عدد01، سنة 2021، ص 239.

[3]– سارة بولحبال، كريمة شحماط: " الأنا والآخر في رواية تلك المحبة للحبيب السائح"، مذكرة لنيل شهادة ماستر، أدب جزائري، جامعة الصديق بن يحي، جيجل، 2020/ 2021، ص 68.

رواية الصدمة للكاتب ياسمينة خضرا عرض فيها علاقة الأناب الآخر حيث كانت الأنا متمثلة في الهوية العربية الفلسطينية في حين كان الأخر متمثلا في اليهودي الإسرائيلي.

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لرواية الأمير، مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج- أنموذجا

المبحث الأول: التعريف بالكاتب وملخص الرواية.

المبحث الثاني: المرجعية الدينية للشخصيات الرواية.

المبحث الثالث: مظاهر تسامح الأديان في الرواية.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب وملخص الرواية.

- **التعريف بالروائي والكاتب واسيني الأعرج:**

حياته: ولد واسيني الأعرج في 8 أوت 1954 بقرية سيدي بوجنان الحدودية. تلمسان، جامع يوروائي جزائري، يشتغل اليوم من صب أستاذ كرسي في جامعة الجزائر المركزية وجامعة السوربون في باريس. يعتبر أحد أهمّ الأصوات الروائية في الوطن العربي.

– على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه، تنتمي أعمال واسينى، الذي يكتب باللغتين العربية والفرنسية إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد وثابت بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية الجديدة والحية بالعمل الجاد على اللغة وهز يقينياتها. إن اللغة بهذا المعنى ليست معطى جاهزا ومستقرا ولكنها بحث دائم ومستمر

– وإذا رجعنا إلى سبب تسميته فيعود إلى أن والدته أسمته واسيني إلى مكان من أولياء الله الصالحين اسمه سيدي محمد الواسيني.

–حصل الروائي الأعرج على الليسانس من كلية الآداب واللغات من جامعة وهران الجزائرية كما حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة دمشق.

–الجوائز الأدبية:

في سنة 1997، اختيرت روايته "حارس الظلال (la gardienne des ombres ") ضمن أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا، ونشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية بما فيها طبعة الجيب الشعبية (livre de proche) قبل أن تنشر في طبعة خاصة ضمن الأعمال الخمسة.

– تحصل في سنة 2001 على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله.

– تحصل في سنة 2006 على جائزة المكتبيين الكبرى عن رواية كتاب الأمير التي تمنح عادة لأكثر الكتب رواجا واهتمام انقديا، في السنة وغيرها من الجوائز التكريمية وترجمة

أعمال البعض منها إلى لغات من ضمنها: الإيطالية السويدية، الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية.[1]

- سنة " 2007 " تحصل على جائزة الشيخ زايد للكتاب (فئة الآداب).

- تحصل سنة" 2010 " على الدرع الوطني لأفضل شخصية ثقافية في اتحاد الكتاب الجزائرية وكذلك أفضل رواية عربية عن روايتها لبيت الأندلسي.

- تحصل في سنة" 2013 " على جائزة الإبداع الأدبي التي تمنحها مؤسسة الفكر العربي بيروت عن رواية أصابع لوليتا.

- سنة " 2015 " تحصل على جائزة كتارا للرواية العربية عن رواية مملكة الفراشة.

- فاز في سنة " 2023 " بجائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب في دورتها العاشرة (في مجال الرواية) وكذلك بجائزة نوابغ العرب عن فئة الآداب والفنون.

- فاز سنة " 2024 " بجائزة كردستان الذهبية ضمن فعاليات مهرجان كلاويز الثقافي الدولي في دورته الـ 27.

- **المؤلفات:**

أ- الروايات:

1- طوق الياسمين، بيروت1981 (سلسلة الجيب: الفضاء الحر) 2002.
2- البوابة الزقاء (وقائع من أوجاع رجل) دمشق، الجزائر، 1980.
3- ما تبقى من سيرة لخضر حمدوش، دمشق، 1982.
4- نوار اللوز، دار الحداثة، بيروت 1983، باريس للترجمة الفرنسية، 2001.
5- مصرع أحلام مريم الوديعة، دار الحداثة، بيروت 1984 (سلسلة الجيب، الفضاء الحل).
6- ضمير الغائب، دمشق 1990 ، سلسلة الجيب، الفضاء الحر، 2001.
7- الليلة السابعة بعد الألف، الكتاب الأول رمل المادية، دمشق/الجزائر، 1993.
8- سيدة المقام، دار الجمل ألمانيا/ الجزائر، 1995.

[1]- واسيني الأعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، د.ط، 2004، ص 03.

9- حارسة الظلام، الطبعة الفرنسية، 1996، الطبعة العربية 1999.

10- ذاكرة الماء، دار الجمل، ألمانيا، 1997 (سلسلة الجيب).[1]

11- كتاب الأمير، دار الأدب، بيروت، 2005، باريس للترجمة الفرنسية 2006.

- أعمال نقدية حول العمالة الأدبية:

1- واسيني الأعرج: شعرية السرد الروائي: دراسات لجمال فوغالي، وزارة الثقافية، 2007.

2- الكتابة الروائية عند واسيني الأعرج، كمال الرياحي، منشورات كارم الشريف، 2009.

3- واسيني الأعرج، هكذا تكلم، هكذا كتب، زهرة ديك، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.

4- العتبات النصية في روايات واسيني الأعرج، الهام عبد الوهاب، دار فضاءات، عمان، 2008.

5- التجربة الروائية عند واسيني الأعرج (قضايا النص والمناص) طيش....، دار المثقف، الجزائر، 2019.

ومن هذا نجد واسيني الأعرج استعمل العديد من التجريب في بعض رواياته لقوله: شغلت الأسطورة حيزا كبيرا في رواية رمل الماية حيث تتقاطع مع حكايات ألف ليلة وليلة،... لم يستطيع تحديده حتى علماء الخط والرمل ولا الذين عرفوا أسرار النجوم.[2]

- مسرحيات مقتسبة من رواياته:

1- مسرحية وقع الأحذية الخشنة، تأليف واسيني الأعرج، وإخراج عبد الحفيظ الشريف، مسرح المختار الليبي عام 1999.

2- مسرحية مزغنة 95، مقتبسة من رواية حارسة الظلال، من اقتباس حميد قوري وإخراج يحي بن عمار، 2009.

3- مسرحية الحرب الصامتة، مقتبسة من رواية مملكة الفراشة، من اقتباس طالب الدوسي، من إخراج وسينوغرافيا ناصر عبد الرضا، 2017.

[1]- واسيني الأعرج، 1997، ذاكرة الماء، محنة الجنون العاري، رواية الجل المؤرسف من الأصل، ط1، 2011، ص50.

[2]- واسيني الأعرج، رمل الماية، فاجعة الليلة السابعة بعد الألف، ورد للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2015، ص 74.

4- مسرحية مي زيادة، ليالي العصفورية، مقتبسة من رواية من ليالي ايزيس كوبيا، إعداد وإخراج وسينوغرافيا طلال درجاني.

5- مسرحية باللغة الأمازيغية بعنوان تامتوت (هذه المرأة) مقتبسة من رواية أنثى السراب، من إنتاج المسرح الجهوي لبجاية عبد المالك بوفرموجمن إخراج عمر فطموس، 2013.

- البرامج والحصص التلفزيونية:

- برنامج أهل الكتاب، من إعداد وتقديم واسيني الأعرج، القناة التلفزيونية الوطنية الجزائرية.

- يعد ويقدم حصة أسبوعية بعنوان القلم على القناة الأرضية الجزائرية بداية من سنة 2023.

- ملتقيات وندوات حول أعماله:

- الملتقى الدولي السادس في تحليل الخطاب" الخطاب الروائي واسيني الأعرج، تنظيم مخبر مناهج النقد وتحليل الخطاب، جامعة سطيف أيام 17/18/19 نوفمبر 2014.

- الملتقى الدولي حول" واسيني الأعرج: روائيا وناقدا " يومي 05/04/ نوفمبر 2024. قسم اللغة العربية وآدابه الكلية الآداب واللغات التابعة لجامعة امحمد بوقرة بومرداس.

- بعض النماذج من رواياته:

1- مملكة الفراشة: لا أدري لماذا كلما تشاجرت مع أمي أو اختلفت معها، حضرت صورة والدي.

بصفاء وسخاء وعبثأ حيانا، كلما تعقدت الأمور خففها هو بسخريته المعهودة.[1]

2- طوق الياسمين:

بعد عشرين سنة لم أفعل شيء مهما سوى البحث عنك، أعود إلى هذه المقبرة التي صارت اليوم وسط المدينة بعد امتداد العمران بشكل جنوني إليها[2]

- **ملخص الرواية**

تنقسم الرواية إلى ثلاثة أبواب وتحت كل باب عدة وقفات:

[1]- واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، دار الآداب، ط1، 2013، ص 40.

[2]- واسيني الأعرج، طوق الياسمين، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص 09.

1. الباب الأول جاء بعنوان: باب المحن الأولى ثم الأميرالية الأولى.

- ✓ الوقفة الأولى: مرايا الأوهام الضائعة.
- ✓ الوقفة الثانية: منزلة بلال ابتلاء الكبير.
- ✓ الوقفة الثالثة: مدارات اليقين.
- ✓ الوقفة الرابعة: مسالك الخيبة.
- ✓ الوقفة الخامسة: منزلة التدوين.

2. الباب الثاني جاء بعنوان: باب أقواس الحكمة ثم الأميرالية الثانية.

- ✓ الوقفة السادسة: مواجع الشقيقين.
- ✓ الوقفة السابعة: مرايا المهاوي الكبرى.
- ✓ الوقفة الثامنة: ضيق المعابر.
- ✓ الوقفة التاسعة: انطفاء الرؤيا وضيق السبيل.

3. الباب الثالث جاء بعنوان: باب المسالك والممالك ثم الأميرالية الثالثة.

- ✓ الوقفة العاشرة: سلطان المجاهدة.
- ✓ الوقعة الحادية عشرة: فتنة الأحوال الزائلة.
- ✓ الوقفة الثانية عشرة: قابق وسين أو أدنى ثم الأميرالية الرابعة.

افتتح الكاتب روايته بـ"جون موبي" الذي قام بتنفيذ وصية سيده القس المسيحي" مونسينيور أنطوان ديبوش" وذلك من خلال نقل رفاته إلى الجزائر الأرض الذي أحبها وأحب أناسها حيث خرج رفقة الصياد المالطي فجراً، وقام بوضع كيس من الأترية وثلاثة أكاليل من الورد. ثم بدأ جون موبي يحكي عن مونسينيور وكيف تم تعيينه كأول قس في الجزائر ويصفه إلى غاية تعرفه على " الأمير عبد القادر" الذي نشأت بينهم علاقة صداقة قوية رغم الاختلاف الموجود بينهما.

لتذهب بنا الرواية إلى وعدم ونسينيور بتحرير الأمير من المنفى في قصر أمواز عندما سمع دق الجرس لسلم الرسائل والأوراق وخرج مسرعا نحو العربة وانطلق مع السائق في تلك الأمطار ليصل إلى بناية القصر، حيث غرفة النواب.

افتتح النقاش على الساعة الواحدة وهنا تم فتح ملف سلطان الجزائر عبد القادر بعد محاولات عديدة من طرف ديبوشو " دولاموري سير" و " الدوق دومال" حيث يتم مناقشة هذا الملف بين مؤيد ومعارض فقدتم الإشارة إلى استسلام الأمير ووعوده ملهو حول قتله لسجناء الفرنسيين لينتهي الأمر بالمناقشة السرية.

في مشهد آخر تصور الرواية مرور مونسينيور على نزل لاتراس حمل حقيبته واستعد للخروج بعد أن لملم أوراقه والرسائل التي وصلته من الأمير واتجه نحو القطار الرابط بين باريس وأورليان للذهاب إلى بوردو وهو يخبر جون أنه لا يريد أن يموت قبل أن يحقق ما يصبو إليه.

عندما صفر القطار بدأ يتذكر تفاصيل صغيرة من حياته وبعض تفاصيل الجلسة التي حاول أن يتناساها. كما تذكر أوجه الناس الذين عرفهم من يتامى وفقراء ومساكين إضافة إلى وجه الأمير وتلك المرأة التي جاءته ترجوه أن ينقذ زوجها وتضع بين يديه رضيعها. فقد كانت سببا في معرفة الأمير فقد أرسل له رسالة ليطلق سرح زوج المرأة بعد أن وصف له حالتها.

في خريف 1848 ذهب مونسينيور إلى قصر هنري الرابع والتقى بالكولونيل " أوجين دوما" وتناقشا في سيرة الأمير قبل السجن وأثنائه وكان واقد أعجبوا به ثم يتجه ديبوش إلى الدهليز الضيق الذي يحتجز فيه الأمير وحاشيته ليفرح الأمير برؤيته عند دخوله ودار بينهما الحوار فتظهر سماحة الطرفين رغم اختلاف الأديان ثم يعود ديبوش إلى بيته ويتذكر الأحداث التي دارت بينهما ورسالته للأمير يطلق سراح الرجل السجين هنا رد عليه الأمير برسالة أخرى يخبره فيها أنه عليه المطالبة بإطلاق جميع المساجين المسيحيين وليس سجينا ًواحداً

وبالمقابل إطلاق سراح المساجين المسلمين بفرنسا. حيث تم تبادل الأسرى في إحدى ضيعات موزايا.

تعود بنا الرواية إلى الوراء عام 1832 الذي كان عاما لخراب قضى فيه الجراد على الأخضر واليابس وازدادت الحروب والقتال بين القبائل والإخوة لأتفه الأسباب كما تم إعدام قاضي أرزيو "أحمد بن طاهر" من قبل "الشيخ محي الدين" بسبب خيانته وتعامله مع الغزاة فقد قد تحذيره عدة مرات من قبل لكن دون جدوى مما أدى إلى قتله في الأخير. وفي هذا الوقت كان الأمير عبد القادر قد عاد من معركته التي استرجع فيها مدينة "وهران" فلم يعجبه ما قام به والده بحكم أن القاضي "أحمد بن طاهر" كان أستاذه ولم يرد له هذه النهاية المؤلمة.

من جهة أخرى تصور لنا الرواية محاورة محي الدين للقبائل وإخبارهم أنه لم يعد يستطيع تولي السلطة وعليهم اختيار سلطان جديد ليأتي "سيدي الأعرج " ويقص رؤياه التي كانت تدل على اختيار عبد القادر سلطانا وتمت مبايعته بتاريخ 27 نوفمبر 1832 موت ولى السلطة وبدأ بالتغييرات من نفسه وعائلته ثم القبائل حيث أمر بتقليل من مظاهر البذخ وسط عائلة وأبناء الشيخ محي الدين ووقف الغارات على القبائل المجاورة بحكم أنها صارت منهم وصاروا إخوة في الخير والشر.

لتنتقل بنا الرواية إلى محاولة ديبوش كتابة رسالة إلى "نابليون بونابرت" يؤكد فيهاعلى أن الأمير مظلوم لذلك يجب إطلاق سراحه.

وفي 07 ماي 1833 شن الجنرال "دوميشال" حصارا على قبيلة غرابة التي كانت أشد وفاء للأمير مما أدى إلى توقيع معاهدة سلام مع الأمير وبدأ هذا الأخير في القيام بتقسيمات جديدة للجيش والمناطق.

عندما عاد إلى معسكر بعد تأديب القبائل الرافضة لدفع الضرائب وعقد اجتماع افي المسجد ليناقش فيه أحوال الدولة والناس وقضية المعاهدة مع " دوميشال " ثم توجه إلى جبال زكار

من أجل إجبار القبائل العاصية على دفع الضرائب لشراء أسلحة جديدة وبتاريخ 22 أفريل 1835 دخل مدينة المدية منتصرا وقُدم له المساجين من بينهم أخوه "مصطفى" الذي رفض أن يراه أو يسامحه حيث بقي فيها 20 يوما عمل هنا على ترتيب الأمور ونصب الإدارة الجديدة.

في مشهد آخر من الرواية ذهب "مونسنيور" إلى زيارة الأمير ودار بينهما حوار حول قضية النسخة الخفية للمعاهدة والجنرال "شريزل" الذي اخترق معاهدة السلم وشن العرب لتنتهي بخسارته وفقدان عدد هائل من الأسلحة والأسرى وفي 10 أوت 1835 بدأت الحرب الفعلية حيث اتجه جيوش فرنسا إلى مسكر بغية تحطيم عاصمة الأمير مما أدى بالأمير إلى تفريغ المدينة بأكملها وذلك بعد اجتماع قام به في المسجد وقاموا بإحراق المصانع والأراضي وخرجوا منه ولم يبقى إلا بعض التجار اليهود والعرب الذين رفضوا الذهاب.

وهنا لم يكف "مونسنيور" في التفكير في قضية الأمير وهذا بعد زيارته الأخيرة له رغم ما كان يعانيه من آلام حيث حدثها أمير عن معركته مع " بوجو " وكيف اتفق على السلم.

من جهة أخرى تحدث "جون" عن المرض الأخير الذي أصاب سيدي وكيف كان يسهر على خدمة المستضعفين وذو الحاجة والرسالة التي بعث بها إلى نابليون لإطلاق سراح الأمير.

في حدث آخر تصور الرواية حرب الأمير مع "التجانية" بعد الحصار الذي دام طويلا يتم طرد مقدم الزاوية وحاشيته "محمد التجاني" نحو وادي ميزاب ثم حرق المدينة بأكملها " عين ماضي" هنا اتضح الضعف الكبير في الجيش مما أدى إلى إعادة ترتيبه واحتل مدينة قسنطينة وثم نقض معاهدة تافنة حيث تم إعلان الحرب وبعث الأمير رسالة إلى "الماريش الدوفالي" تتضمن إعلان الحربوب تاريخ 22 فيفري 1841 وصل "بيجو طوماس روبرت " إلى الجزائر بعد أن عين حاكما جديدا لها وأعلن الحرب مع الأمير وانتهج سياسة الحرق واستولى على عاصمة الأمير ودمرها.

ثم يذهب " مونسينيور" مرة أخرى لزيارة الأمير ويطرح عليه عدة أسئلة كالعادة وهذه المرة كانت حول" الزمالة " وتقسيماتها ثم تنتقل الأحداث إلى تدمير الزمالة وكسر عمودها الفقري هنا نجى الأمير والبعض لِيُأْتى بجثة "مصطفى بن إسماعيل" الذي كان وراء تدمير "تكدامت" قتله ناس "فليتة".

وقد كتب الأمير رسائل إلى سلطان المغرب وإلى الإنجليز وإلى خلفائه في مختلف الأماكن ليخبرهم بظروف البلاد وعليهم بمواصلة الجهاد وبعث "سيدي مبارك علال" إلى سلطان المغرب حيث تعرض للمباغتة من طرف قوات الكولونيل لتراس الثمانية بعد أقل من أسبوع من الرحلة فقتل وكانت صدمة كبيرة للأمير.

وكانت هنا محاولات عديدة "لمنيسنيور" لكي ينهي الرسالة قبل فصل الربيع فالوقت كان يمر بسرعة من جهة أخرى العمل على إجبار سلطان المغرب من أجل التوقيع على اتفاقية الحدود مع فرنسا قام "بيجو" بمواجهة ضد ولي العهد المغربي محمد الأمير وفي حادثة أخرى تم حرق الناس في أحد المغارات "جبال الظاهرة" ولم يبقى خيار آخر إلا الاستفادة من المساجين ليعلم الأمير عبد القادر أنه قد تم ذبحهم.

من هنا تصور الرواية حوار " مونسنيور" والأمير في السجن وسؤاله عن قضية ذبح المساجين والحديث عن أمور ماضية وكيف خان البعض الأمير وذلك بعد محاولة "العقون المغربي" قتله لتشعل نار الحرب بين الأمير والسلطان فينتصر الأمير فيها وفي آخر معاركه مع فرنسا سلم الأمير نفسه في 23 ديسمبر بعد 15 سنة من المواجهة فتم الموافقة على استسلامه هو وحاشيته ليتم نفيهم إلى فرنسا.

في مشهد آخر وصل "جون موبي" والصياد المالطي إلى الإميرالية ثم جلس في المقهى ليكمل القصة للصياد وتحدث عن سبب مغادرته للجزائر يسبب الديون والضغوطات

المتراكمة، وكالعادة ذهب مونسنيور لزيارة الأمير فاستقبله بحفاوة واستقبل زواره من مختلف الطبقات فأطال الحديث معه.

25 ديسمبر ركب الأمير وحاشيته سفينة "الأصمودي " وكان برفقة " بواسوني " اتجه الأمير إلى قصر هنري الرابع حيث كان ينتظر تطورات جديدة حول قضيته ووضعه رغم أنه كان يشعر أن الأمر ميئوس منه. ليجلس ويناقش "بواسوني" موضوعات عديدة حول العلم والجهل والأدب.

16 أكتوبر 1852 جاء " لويس نابليون بونابرت" لزيارة الأمير لكي يخبره بحريته عن طريق رسالة التيقد أرسلها مونسنيور إليه من قبله ليعرفه عن أصل هذا الرجل الطيب ليتحقق في النهاية ما كان يصب وإليه وفي 28 أكتوبر 1852 خرج الأمير وحاشيته من السجن.

واستقبل من طرف جمهور كبير وذهب لزيارة الرئيس " لويس نابليون بونابرت" قبل مغادرة فرنسا ويشكره على كل ما قام به وكان مشتاقا كثير الرؤية" مونسنيور" ويشكره هو كذلك على ما قام به وبعد أن التقى به ما زار الأمير عدّة أماكن في فرنسا فقد رأى متحف لوحة الاستيلاء على الزمالة.

وأهداه نابليون سيف عربيا قديما بعد ذلك عاد الأمير إلى قصر أمبواز حيث وجد " مصطفى بن التهامي" مريضا وكان غاضبا لأنه لم يأخذهم معه في رحلته إلى باريس بعد ذلك بدأ الأمير يتحدث عن الحضارة والثقافة الفرنسية وماوصلت إليه من تطور في دهشة كبيرة أمام المستمعين ثم أراد سي مصطفى أن يجرب حصان الأمير وأخبره أنه من الممكن أن ينتقلوا إلى تركيا بتاريخ 11 ديسمبر 1852 يعد خمس سنوات من المنفى في فرنسا.

تعود بنا الرواية إلى الأميرالية الرابعة والأخيرة لحظة استقبال الناس لرفاة القس المسيحي "مونسنيور ديبوش" حيث كانت هناك امرأة وابنتها هي نفسها التي كانت قد جاءت إلى ديبوش منذ زمن بعيد لتطلب منه أن يساعدها فيعفو الأمير عن زوجها وقد كانت حالتها رثة هي ورضيعتها بعد ذلك يصل في فيالق قناصي إفريقيا وعدد من الرجال الكبار لاستقبال

رفاته وعدد كبير من الناس الذين كانوا يحبونه ويشهدون له بخيره وطيبته وكذلك خادمه الوفي "جون موبي" الذي حاول لمس التابوت ليتذكر لحظة توديع مونسيور للأمير في آخر مرة التقاه فيها في مرسيليا.

باريس الجزائر 2004.

المبحث الثاني: المرجعية الدينية لشخصيات الرواية ودلالتها

- **شخصية الأمير عبد القادر**

في رواية "الأمير مساك أبواب الحديد " للكاتب "واسيني الأعرج" يعرض شخصية "الأمير عبد القادر" بشكل عميق ودقيق ،حيث يركز على جوانب متعددة في شخصيته لاسيما مرجعيته الدينية، التي تمثل عاملا رئيسيا في تشكيل مواقفه وقرارته طوال فترة مقاومته للاحتلال الفرنسي، فمرجعيته الدينية هذه لا تقتصر على فقه الإسلامي فقط بل تتداخل مع مواقفه السياسية والعسكرية وهو ما يمنح للرواية بعدا إنسانيا وأخلاقيا في تحليل شخصيته كقائد ومجاهد وعالم دين، لذلك تمت مبايعته ليصبح خليفة لأبوه الشيخ "محي الدين "حيث قال: " العمر سلطان ومع ذلك أضع أمامكم ابن الزهراء عبد القادر فإن شئتم توليته سلطانا على الغرب فلكم ذلك وإلا اقترحوا من ترونه مناسبا لهذه المهمة الجديرة لم أعد قادرا على تحملها".[1]

وبتاريخ 2 نوفمبر 1832 أعلن سلطانا وأميرا للمؤمنين.

يعتبر "الأمير عبد القادر" الشخصية المحورية والأساسية المحركة لأحداث الرواية باعتباره أحد أعظم قادة الجزائر، كما أنه رمزا دينيا وشخصية مسلمة صوفية برزت في القرن التاسع عشر، كان هذا الأخير ينتمي إلى الطريقة القادرية وهي إحدى الطرق التي تعتمد التصرف الإسلامي ، وترتكز على التقوى والزهد والتوجه الروحي حيث ظهر هذا في عدة جوانب من الرواية وذلك باعتماده على التوجه التام لله عزوجل في أموره وقضاياه " كانت الظلمة قد بدأت تنزل عندما خلت ساحة المسجد وتفرق الجميع تحت تمتمات بعضها كان واضحا ويهلل بحياة الأمير والشيخ محي الدين والزاوية القادرية [2] فطريقته الصوفية القادرية شكلت إطارا للتعليم الروحي باعتباره أحد من ذرية الحسن والحسين أحفاد النبي صلى الله عليه وسلم

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ودار الآداب، بيروت لبنان، ط2، 2008، ص 88.

[2] المصدر نفسه، ص 91.

" ثقتنا فيك كبيرة لأنك من ذرية الحسن والحسين وسنقضي عليهم ببركة الله والأولياء الصالحين عبد القادر سيجعلهم كعصف مأكول في يسار سيدي النار وفي يمناه السلام ولهم أن يختارو"

تعالت أصوات كثيرة في القاعة الله أكبر، الله أكبر.[1]

نظرا لنسبه الشريف كان متأثرا بشكل كبير بالقيم الدينية والخلاقية المستمدة من الإسلام، خاصة الزاوية القادرية التي كانت سائدة في المنطقة والتي أسسها الشيخ "عبد القادر الجيلاني" في بغداد، تلعب دورا كبيرا في تهذيب النفس وتعليم الروحانية التي تعتمد على التواضع والزهد والمحبة لله، فقد ولد في بيئة محافظة تعلقت بالإسلام والمسلمين وذلك بسبب نسبه العظيم. " أنا عبد القادر، بن محي الدين بن مصطفى، بن محمد بن المختار، بن عبد القاضي، بن أحمد ، بن محمد، بن مسعود، بن طاوس، بن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد، بن محمد، بن إدريس، بن ادريس أحد أبناء عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى بن حسن حفيد النبي صلى الله عليه وسلم[2]

التوجه الصوفي" للأمير عبد القادر" الجزائري يظهر من خلال مساره الروحي والفكري يمكن تقسيم مساره إلى ثلاث مراحل التعلق، التخلق، التحقق، المرحلة الأولى من ولادته حتى نهاية جهاده ضد الفرنسيين عام 1847، حيث تعرف بالتصوف وأصله ،المرحلة الثانية كانت خلال فترة سجنه وبداية استقراره في دمشق حيث تدرج في أخلاقه الصوفية " كما قد توغل الأمير في عمره بالتصرف وعلوم القرآن حيث تقسم حياته الصوفية إلى ثلاث مراحل منها عزلته وخلوته في مدينة أمبواز حيث كان سجينا[3]، وهذا ما أشارت إليه الرواية حيث صورت

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، مصدر سابق، ص 131.

[2] برونو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، ترميشيل خوري، دار عطية للنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1997، ص 27.

[3] نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ت نزار أباظة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، ص 29.

فترة إقامته بأمبواز بعد أن تم نفيه إلى هناك بفرنسا، أما المرحلة الثالثة فكانت حيث دخل مقام الفناء في رسول الله، مما جعل رؤيته للأخر تتمحور حول التوحيد والوحدة.

أنا حق. أنا خلق أنا رب، أنا عبد
أنا عرش. أنا فرش وجحيم أنا خلد
أنا ماء. أنا نار وهواء أنا صلد
أنا كم . أنا كيف أنا وجد. أنا فقد
أنا ذات أنا وصف أنا قرب، أنا بعد
كل كون ذاك كوني أنا وحدي أنا فرد

هذه القصيدة تشير إلى البلوغ الصوفي لعبد القادر[1]

كما تظهر" الأمير عبد القادر" رؤية صوفية متكاملة تجمع بين التصوف والسياسة والحرب، حيث يعتبر الغير جزء من الموجود الإلهي، مما يلغي الفوارق بين الذات الموضوع، هذا التوجيه الصوفي كان له تأثير كبير على مواقفة السياسية والاجتماعية، حيث كان يظهر تسامحا مع الآخر، " الدين أيها السلطان الدين يوحد القلوب" .

هذا ما يعكس طابعا دينيا متوازيا بين الجهاد في سبيل الله وبين التعاليم الانسانية[2]، التي كانت جزء من مرجعيته الدينية، ولقد كانت مرجعية "الأمير عبد القادر" تتمثل في حوارتها وأحاديثه التي تدل على التعلق التام بالدين الإسلامي ،لا سيما في اعتماده وتوكله على الله في العديد من القضايا خاصة من ناحية الجهاد، فقد حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره وتدبر آياته ومعانيه " فالله عزوجل يرسل في كل قرن من الزمان رجلا قديما وعالما وهما في الإسلام سنوات ليقوم الناس وأهواءهم التي تبعدهم عن السنة المحمدية وتجعلهم

[1] بورنو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 28.
[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 167.

يغرقون في متاهة الجاهلية صفة العالم الذي لا روح فيه، ولا شك في أن هذا الرجل المرسل للقرن التاسع عشر هو الأمير عبد القادر".[1]

رغم منفاه إلا أنه ظل متمسكا بتعاليم دينية خاصة الصلاة وهذا ما عكسته أحداث الرواية: "عندما انتهى من الصلاة وضع الأمير الزربية على الأريكة وخرج عند المدخل حيث صالة الزوار لاستقبال ضيفه قال مازحا محتصنا مونسينيور ديبوش، مونسنيور، جيد أنهم يتركوننا نصلي على الأقل وإلا لتحول هذا القصر إلى محشرة.[2]

من جهة أخرى" الأمير عبد القادر" ليس فقط عالم دين بل كذلك زعيم عسكري ،يتمتع بقدرة كبيرة على فهم وتفسير الشريعة الإسلامية وهذا ما تعكسه حكمته في إصدار القرار العسكري وفق ما يقتضيه توجهه الديني، فقد كان يسعى إلى نشر القيم والمبادئ الإسلامية التي تدعو إلى العدالة والرحمة والتسامح، ليصبح بهذا قائد أمة يضرب بها المثل في القوة فهو الذي مارس الجهاد المشروع دون عنف وتخريب خاصة في تعامله مع الأسرى الفرنسيين حيث قال فيه أحد القادة الفرنسيين " الكابتين دوسانت" : الأمير رجل مدهش، هو في وضعية أخلاقية لا نعرفها جيدا في أوربا رجل زاهد في شؤون الدنيا ويظن أنه موكل من طرف الله بمهمة حماية رعاياه حلمه ليست الحصول على مجد والهدف الشخصي ليس من مهامه وجمع المال لا يعنيه أبدا، ليس متعلقا بالأرض إلا وفق ما يمليه عليه الله فهو أداته"[3]

- **شخصية مونسينيور أنطوان ديبوش**

إن المتتبع لأحداث رواية "الأمير مسالك أبواب الحديد" "لواسيني الأعرج" يجد شخصية أساسية ثانية ألا وهي" مونسنيور أنطوان ديبوش "القس المسيحي بعد شخصية "الأمير عبد القادر"، فهو الذي رسم صورة كبيرة لتسامح الديني من خلال علاقته الطيبة مع الأمير،

[1] بروتو إيتين الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 15.
[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 145.
[3] المصدر نفسه، ص 150.

حيث تظهر مرجعيته الدينية في كونه شخصية مسيحية سعى للتبشير بعد أن عين أسقفا للجزائر يقول خادمه "جون موبي": "جئت معه إلى هذه الأرض عندما عين أسقفا على الجزائر" [1] هذا ما يعكس التزاما قويا بالمسيحية، كما أنه برز في عدة مواقف من خلال تحاوره مع الأمير في عدة قضايا دينية دون أن يقع في التعصب الديني، خاصة خلال زيارته له في السجن، فهو أحد رجال الدين في الكنيسة المسيحية، ذو قيمة كبيرة في التسلسل الهرمي للكنيسة الكاثوليكية لذلك يلقب ب " القس مونسينيور" فهو رجل معروف ب " لحيته السوداء المتسدلة على صدره والتي تكاد تغطي الجانب العلوي من الصليب الذي يتدلى بارزا من عنقه، اللباس الفضفاض الأسود الذي، كان يرتديه أعطاه مهمة غير حقيقية، أما قبضة يده اليمنى التي كانت تنام على ركبته فقد برز على مبادئها خاتم خشن لم يتركه مونسينيور ديبوش حتى مات ،بينما اليد اليسرى كانت تحتضن الإنجيل وتقبض عليه بلهفة كبيرة مخافة ضياعه"[2]

هذه الأوصاف كانت تمثل رجال الدين المسحيين، يظهر ديبوش روح التسامح والتطهير للمسيحية فقد كان يحث الأمير على الاعتراف بالقضايا التي يتهم بها من قبل الفرنسيين بهدف الدفاع عنه، فعرف بحبه الكبير للخير ومساعد الناس خاصة في قضية إطلاق سراح الأسرى حيث يقول مخاطبا الأمير: "سيدي السلطان.... أنت تعرفني ولكني رجل مؤمن متفان في خدمة الله مثلك تماما"[3]

كما أنه حاول جاهدا أن يضم الأمير عبد القادر إلى طائفته ويجعل منه رجلا مسيحيا لأنه أعجب به كثيرا ، كان مونسينيور مندهشا من سماحة الأمير الذي لا شيئ كان يجعله يختلف عن كبار الناس الطيبين الذين قضوا العمر في عزلة الرهبان بحثا عن طريق يقربهم أكثر إلى الله".[4]

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص 55.

[4] المصدر نفسه ، ص 41.

المبحث الثالث: مظاهر تسامح الأديان في رواية "الأمير مسالك أبواب الحديد" " لواسيني الأعرج "

تتجلى مظاهر التسامح بين الأديان في الرواية من خلال علاقة الأمير عبد القادر بالقس "ديبوش" تُظهر كيف يمكن للشخصيات من ديانات مختلفة أن تتعايش وتتحِدَ في مواقف مشتركة يظهر كيف أن ديبوش الذي كان متحمس التنصير المسلمين، أصبح صديقا للأمير مما يُظهر روح التسامح والتعايش بين الأديان في ما يبرز الأعرج في الرواية أن التسامح الديني يمكن أن يلعب دورا هاما في بناء علاقات إيجابية بين مختلف الطوائف وقد برز هذا في عدة مواقف في الرواية من خلال الحوار القائم بين الأمير عبد القادر ومونسنيور ديبوش، رغم الاختلاف القائم بينهما فكل واحد منها يعتنق ديانة تختلف عن الأخر فالأمير هو المسلم والقس المسيحي، إلا أن هذا لم يخلق تعصب بينهماعلى عكس هذا بل نشأت بينهماعلاقة صداقة قوية فقد حاول ديبوش الدفاع عن الأمير لكي يخرج من سجن المنفى يقول: « **كم أتمنى أن يمنحني الله قليلاً من العمر لأرى الأمير خارج أسوار سجنه** ».[1]

لم يكن ديبوش مجرد متعاطف بل كان يرى في الأمير رمزا ًللكرامة والنبل بل دافع عنه أمام الفرنسيين. كان من القلائل الذين نظروا إلى الأمير عبد القادر لا كعدو بل كإنسان عظيم، حكيم، وفيلسوف حمل لواء المقاومة فهنا ديبوش يدرك أن الأمير سجين مقيد ليس فقط بالسجن المادي بل سجن الاحتلال والاستعمار ومع إدراكه أن عمره شارف على النهاية فإنه يرجو من الله أن يمد في أجله ليرى بعينه رمز للمقاومة حرًا كأنها لحظة تحقيق العدالة أو استعادة الكرامة.

كما أن الكاتب حاول جاهدًا أن يجعل الحوار بينهما قائمًاعلى أساس الدين فكان ذلك في إطار التسامح والتصالح بين الأديان وذلك من خلال محاولة الأمير عبد القادر التعرف على

[1]– واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 49.

الديانة المسيحية « **بدأت أقرأ كتابكم الإنجيل ... ولكني هذه المرة مصمم على قرائته كاملًا وفهمه إن أمكن**».[1]

الأمير عبد القادر في هذه اللحظة يظهر احترامه وانفتاحه الفكري والديني، فهو يقرأ الكتاب المقدس الديانة المسيحية فهذه العبارة تعكس روح التسامح والحوار بين الأديان التي كان يتميز بها الأمير عبد القادر وكذلك فضوله المعرفي ورغبته في فهم الآخر لا من منطق عدائي أو نقدي، بل منطق احترام متبادل هذا يعكس جوهرًا التباين العقائدي بين شخصيتين تنتميان إلى ثقافتين ودينين مختلفين لكنه تظهر هنا كعامل أو كجسر للحوار والتفاهم، من جهة أخرى نجد إشارة واضحة إلى أن الاختلاف العقائدي لا يمنع التقارب الإنساني والروحي بل قد يكون جسرًا نحو فهم أوسع للحقيقة الإلهية التي تجمع البشر رغم تعدد معتقداتهم حيث يقول ديبوش مخاطبا الأمير « **لك كل المحبة التي تقرب أحدنا من الآخر حتى ولو اختلفنا لتستقر روحنا داخل الحقيقة الإلهية الكبيرة نفسها** ».[2]

يبرز هذا المشهد كيف أن القيم الدينية الحقيقية تتجلى في الحوار والمحبة لافي الصراع والإنغراق، مما يجعل علاقة الأمير بديبوش مثالًا راضيًا للتعايش بين الأديان.

« **متيقن أن قلبك لن يتوقف عن فعل الخير، حدثني إذن كأخ ولا تقلق من أخطائي فالنية الطيبة هي سيدة السؤال والمقصد**».[3]

كما يتجلى التسامح الديني من خلال قول ديبوش الذي يعكس مشاعر إنسانية عميقة تتجاوز الفروقات والاختلافات « **لا أدري من أين جاءني كل هذا ولكني أحبك أكثر مما يمكنك أن تتصور لك في قلبي مكان واسع وفي ديني متسع لا يفنى ولا يموت** ».[4]

[1]– واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 49.

[2]– المصدر نفسه، ص 49.

[3]– المصدر نفسه، ص 50.

[4]– المصدر نفسه ، ص 51.

هنا يظهر الحب الكبير والعميق الذي يكنه ديبوش للأمير فهذا ينطلق من إحساس داخلي يتجاوز الانتماءات الضيقة نحو أفق إنساني مشترك فقيمة ديبوش لا ترتبط بالدين أو العرق بل هي محبة مطلقة نابعة من القلب، تعبر عن قبول الأخر كما هو تلقى إلى ذلك إي ما نهب أن الدين الحقيقي يتسع للأخر ويقوم على قيم الرحمة والمحبة.

في مشهد آخر يؤكد الرغبة الشخصية في التعرف على الدين المسيحي بصدق وعمق «**طلب من مونسنيور أن يساعده للحصول على كتب متخصصة في الدين وإلى كاهن معرب يشرح له تفاصيل المسيحية في صفائها الأول**».[1]

مما يدل على احترامه للدين المسيحي من جهة أخرى فإن استجابة مونسينيور وموافقته على تقديم المساعدة تُظهر روح التسامح وهذا دليل على التفاهم بين الأديان يقول كذلك «**قل كل من تلقاه من القديسين النصرانيين أن يدعوا لي**».[2]

تصور الرواية قضية إطلاق الأسرى فهي تجسد بعدًا إنسانيًا وروحيًا يعكس عمق التسامح الديني الذي يؤمن به الأمير القادر بل الرواية وشخصيته تاريخية بارزة في وقت كان فيه الصراع بين الأمير وجيش الاحتلال الفرنسي محتدما كان من المتوقع أن تكون المعاملة للأسرى الفرنسيين قاسية لكن الأمير فاجئ الجميع بموقفه الإنساني حيث أمل بإطلاق سراحه الأسرى المسيحيين مؤكدًا أن القيم الإسلامية الحقيقية. لا تدعوا إلى الانتقام والتعصب بل إلى الرحمة واحترام كرامة الإنسان مهما كان دينه أو جنسيته.

« **وقع كلمات مونسينيور كان قويا في نفسية الأمير، فكلف خليفته سيدي محمد بلعلال بالإشراف على مبادلة السجناء في إحدى ضيعات موزايا** ».[3]

[1]– واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 51.

[2]– المصدر نفسه، ص 52.

[3]– المصدر نفسه، ص 57.

هذا الفعل لم يكن مجرد قرار عسكري أو سياسي بل كان من موقفًا أخلاقيًا نابضًا من إيمانه بأن الأديان جميعها تدعو إلى المحبة والتعايش ، هنا قدم الأمير صورة مشوقة عن الإسلام كدين تسامح. من جهة أخرى نجد ما قام به كذلك الجنرال دومشال في معاهدته.

« **فقد أطلق سراح محبوسين كما وعدنا، أعاد مسجد الباشا إلى المسلمين، سرح سجناء بوابيبي بمرسى الكبير وسكان الغرابة الذين غزاهم في نومهم ورد بعض أموالهم وأغنامهم**».[1]

كما تجسد عبارة الأمير عبد القادر التي قالها للقس المسيحي مونسينيور ديبوش في المنفى « **جيد أنهم يتركوننا نصلي على الأقل وإلا لتحول هذا القصر إلى محشرة، أعتقد أن الصلاة لا تؤذي أحدًا فهي ليست بيننا وبينهم ولكنها بيننا وبين خالقنا** [2]»

أسمى معاني التسامح الديني والتعايش مع أتباع الديانات المختلفة حتى في أحلك الظروف وأكثرها قسوة وكذلك مخاطبته للقس المسيحي بأسلوب يحمل الاحترام والود دليل على انفتاحه الفكري وتسامحه الديني.

كما يؤكد مونسينيور ديبوش علاقته الوطيدة والكبيرة بينه وبين الأمير « **عرفنا بعضنا في أكثر الظروف حساسية يوم تبادلنا الأسرى. لم أرك ولكن من رسائلك عرفت أنني أمام رجل كبير لم يفهمه الفرنسيون والعرب معًا** » [3]

هذا ما يعكس الصداقة الكبيرة بينهما وتقبل كل منهما للآخر لذلك نلاحظ أن علاقة الأنا بالآخر شغلت حيز كبير في الرواية هذه المحطة الأولى للتعارف بين الرجلان لتنتهي بمحبة كبيرة بينهما.

[1]- واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 129.

[2]- المصدر نفسه، ص 145.

[3]- المصدر نفسه، ص 148.

لذلك يمكن النظر إل بمساعدة ديبوش للأمير عبد القادر في الدفاع عنه للخروج من السجن كرمز من رموز التسامح الديني فقد استطاع التوسط لإيجاد حل للتحقيق من معاناته والعمل على ضمان تسوية بين الأمير والسلطات الفرنسية.

« **السنوات القاسية لم تعلمه إلا الصبر مثل عظماء الشهداء المسيحيين الذين تلقوا آلام الموت مقابل إنقاذ الذين يحبونهم** ». [1]

تعكس هذه الفكرة أبعادا عميقة من التسامح الديني والانفتاح على الآخر تظهر من خلالها أن الراوي لم يكتفي بتقديم الشخصية كرمز الصبر والمعاناة بل يربط تجربته بتجربة الشهداء المسيحيين الذين فتحوا بحياتهم من أجل الحب والخير هذا التشبيه يكشف احترامًا كبيرًا لشخصيات دينية مسيحية وضعها في موضع القدوة مما يدل على وعي عميق بالقيم مشتركة بين الأديان كالصبر، التضحية والفداء، كما تبرز إدراكًا للبعد الإنساني الذي يجمع بين الناس على اختلاف معتقداتهم، وتقدم خطابًا يقوم على الاعتراف بالغير.

لا على أساس الصراع بل على أساس التشابه والتكامل، هنا يعير واسيني الأعرج عن تصور حضاري يعلي من قيمة الإنسان في جوهره.

يقول الأمير عبد القادر واصفًا أحد من حاشيته « **لم نرى منه ما يؤذينا أما كونه يهوديا فقد وجدنا الخير أحيانا في اليهود والمسيحيين**»[2]

فالرجل اليهودي لم يقدم له إلا الخير رغم أنه من ديانة مختلفة هذا ما يدل على احترام التعددية الدينية وعدم الخلط بين الانتماء الديني وسلوك الفرد كما أنها تعبر عن تجربة شخصية إيجابية مع أتباع الديانات الأخرى مما يعزز قيم التفاهم والتعايش ويُسهم في بناء مجتمع متسامح. يعترف بأن القيم الإنسانية كالخير والاحترام لا تقتصر على دين معين.

« **ديننا يقول إذا جنحوا للسلم فاجنح له** [3]»

[1]- واسيني الأعرج، الأمير مسالك أبواب الحديد، مصدر السابق، ص 153.

[2]- المصدر نفسه، ص 206.

[3]- المصدر نفسه، ص 244.

هذا دليل واضح على السلم والتفاوض مع الآخرين مما يؤكد القيم الأساسية في الإسلام التي تنص على العفو والصفح والتسامح.

وفي رؤية أخرى يؤكد مونسينيور ديبوش حبه للجزائر البلد المسلم وكيف تجلى عمق ارتباطها الروحي والوجداني بها. رغم كونه رجل دين مسيحي فهو يرى الجزائر وطنًا تبناه. لا مجرد أرض أقام فيها ويعبر من خلال كتاباته عن اهتمامه بتاريخها المسيحي كجزء من هويتها المتنوعة فهنا الرواية تسلط الضوء على نموذج للتعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين يقول مونسينيور « **لكن لا أحد استطاع أن يفصلني عن الأرض التي تبنتني الجزائر تصور كنت أقضي الليالي كلها وأنا أكتب كتابي كتابات عن الجزائر المسيحية** ».[1]

من جانب آخر هو يشهد للأمير بالخير ويؤكد على أنه رجل طيب ذو شخصية نبيلة حتى وإن وقفه على طرفي نقيض من حيث الانتماء الديني « **الأمير رجل يحفظ الود، من يدري؟ اليوم نقدم له يد العون وغدًا ربما قد يقدم ضعفها للناس الذين هم في حاجة إليه وليسوا من دينه**»[2] أي أن هذا الرجل معروف بمساعدته للغير والناس كلهم دون استثناء.

مونسينيور ديبوش يرى في هذا الرجل شخصية متميزة للتأمل تصلح تكون أساس للتسامح الديني فقط لمس في أخلاقه عمقًا وجاذبية خاصة جعلته يتمنى لو كان هذا الرجل مسيحيًا ليكون أخًا في الإيمان ويصبح رمزا يُفتخر به داخل الكنيسة ذلك نتيجة إعجابه الشديدة.

« **كل ما تأملت هذا الرجل ازددت محبة له ولأخلاقه، الأنانية، أحيانا المؤذية، في البداية تمنيته مسيحيا نزهو به كأخ ونلقنه تعاليمنا ليذهب بها عند ذويه ويشيعها** ».[3]

ويظهر الأمير سماحته الكبيرة وحبه كذلك للمونسينيور وقوة الصداقة التي كانت تجمعنا وكان مؤمنًا له كثيرا لما قدمه له فقد كان يرى فيه ضميرًا حيًا للرجل المتسامح والمتعايش مع

[1]- واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 245.

[2]- المصدر نفسه، ص 246.

[3]- المصدر نفسه، ص 248.

الأخر: «**أنت تسعدني مونسينيور بهذا الكلام واشعر بالصداقة الكبيرة التي تجمعنا والتي أتمنى أن تستمر إلى أن يأخذنا الله بجواره** ». [1]

كما أنه يقر بخيره و أفعاله اتجاه الناس مهما كان انتمائهم لذلك كان يقدم ديبوش المساعدة لجميع الناس ليعكس مثالًا لتسامح الأديان « **لقد بنيت وأنقذت اليتامى ولم تسأل يوما عن لونهم ولا عن جنسيتهم ولا عن قناعتهم** ». [2]

إذًا فالمحبة التي كانت بين الأمير ومونسينيور كان أساسها السلم والتسامح الذي يدعو إلى قبول الآخر والعمل على مساعدة الغير والكل في مختلف الأحوال، لذلك سعى مونسينيور إلى التوسط من أجل الحصول على مكان للصلاة للأمير وحاشيته « **فهو ركض طولًا وعرضًا ليعطي الأمير وحاشيته مكانًا يصلون فيه ويقيمون أذانهم في قصر أميواز** ».[3]

هنا يظهر حرية ممارسة لتعاليم الدينية مما يدل على التسامح الديني « **كانت صورتك السمحة مطبوعة في عمق قلوبنا جميعا ولن تمحى أبدًا ولكننا سعدنا لوجودها على مرأى من عيوننا باستمرار**» [4]

فالأخلاق السامية هي التي ساهمت في استمرار هذه العلاقة الطيبة بينهما ورسمت رؤية واضحة من اتفاق عالمين مختلفين في أبهى وجه هما جسد الإنسانية في صورة مليئة بالمحبة والتعايش مع الآخر.

يصل مونسينيور إلى غايته في النهاية وهي خروج الأمير من السجن بعد المحاورات الكبيرة التي قام بها للدفاع عن الأمير ومساعدته لأنه أحبه كثيرًا « **أنت أول فرنسي فهمني من**

[1]- واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 415.

[2]- المصدر نفسه، ص 418.

[3]- المصدر نفسه، ص 489.

[4]- المصدر نفسه، ص 497.

بين الكل، صلاتك وصلت إلى الله الذي نور الأذهان ومس قلب البرنس الكبير الذي فك قيدي كلماتي عاجزة عن شكرك [1]»

ليشكره الأمير على ما قام به للدفاع عن قضيته رغم الاختلاف بعد خروج الأمير من سجن المنفى بقى تذكر محاولات القس المسيحي من أجله ويعبر له عن حبه واحترامه وامتنانه له وأن الدين الإسلامي دين رحمة ومحبة ويرحب به في كل وقت حيث قال « **تذكر دائمًا أن لك أصدقاء في أرض الإسلام يحبونك ويدافعون عن مثلك باستماتة** [2]» كما أضاف ديبوش قائلًا « **سيعرف الذين يكبرون في تلك الأرض أن رجلا خيرًا وعالمًا كبيرًا عاش في هذه التربة وهداها إلى الخير** »[3] فالإسلام دين تسامح وتساهل ورحمة.

يمكن القول أن رواية " الأمير مسالك أبواب الحديد " للكاتب واسيني الأعرج تقدم صورة عميقة للتسامح الديني من خلال علاقة الأمير عبد القادر الجزائري والقس المسيحي مونسينيور ديبوش، لذلك يتجسد التسامح الديني كعنصر مركزي ومفهومًا إنسانيًا، فقد أظهر الأمير قدرته على التفاعل بشكل إيجابي مع القس ديبوش وهو ممثل للكنيسة المسيحية، هذه العلاقة كانت نموذج التسامح الأديان في زمن كانت فيه الصراعات الدينية والعربية تهيمن على المشهد السياسي والاجتماعي.

الأمير عبد القادر الذي عرف بحكمته لم يرى في ديبوش عدو له بسبب انتمائه الديني وإنما كان سبب في خروج الأمير من السجن، ضف إلى ذلك أن الرواية حققت رؤية عميقة وتفاعل ودي بين هذان الرجلان وكيف استخدم الأعرج هذه العلاقة الطيبة لتحقيق حوار حضاري بين الشرق والغرب والأنا والآخر وصولًا إلى أهم نقطة ألا وهي تسامح الأديان.

[1]– واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك، أبواب الحديد، المصدر السابق، ص 574.

[2]– المصدر نفسه، ص 608.

[3]– المصدر نفسه، ص 245.

خاتمـــــــــة

خـــاتمة

وفي ختام هذا البحث لابد من تقديم الاستنتاجات التي توصلنا إليها بعد هذه الدراسة:

- التسامح الديني هو قبول الاختلافات الدينية، واحترام معتقدات الآخرين.
- إن قيمة التسامح الديني تعتبر مركزا مهما في الرواية، لأن الروائي جعل منها نقطة تقارب بين التاريخ والدين، مؤكدا أن هذا التسامح لم يكن موضوعا مهمشا بل جزء ضروري من حياة الأمير عبد القادر.
- إن القرآن الكريم يدعو إلى التعامل مع أهل الديانات الأخرى بالحسنى والحوار البناء والتفاهم استنادا على قوله تعالى : " وجادلهم بالتي هي أحسن" النحل 125.
- القواسم المشتركة بين الاسلام والمسيحية تتمثل في الرحمة، المساواة، الانسانية مما يشجع على التعايش السلمي دون التعصب الديني.
- بالتأكيد أظهرت الرواية الجزائرية رؤية جديدة، لمحاربة أشكال التطرف والدعوة إلى قبول الطرف الآخر.
- إقبال الروائيين الجزائريين على تصوير مظاهر التوافق والتقارب بين الأفراد رغم اختلاف انتمائهم العقائدي.
- إن المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية، تقوم على القرآن الكريم والسنة النبوية.
- تعكس العديد من الروايات الجزائرية، كيف يمكن للدين أن يكون جسرا للتواصل، لا سببا للانقسام وذلك من خلال المواقف والأحداث بين المسلمين واليهود والمسيحيين.
- واسيني الأعرج يعتبر من أبرز الأدباء الجزائريين، الذين طرحوا موضوع التسامح الديني بقوة وعمق.
- – جاءت رواية " الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج "كعرض لوقائع ومشاهد تاريخية فترة الاستعمال الفرنسي.
- يمثل الأمير عبد القادر الزاوية القادرية والتوجه الصوفي، بينما القس مونسنيور أنطوان ديبوش الكنيسة الكاثوليكية.

- نجد في شخصية كل من الأمير عبد القادر ومونسينيور ديبوش حسب هذه الدراسة أنهما رمزان للانسانية والتعايش، رغم الفوارق الدينية لم تكن الحروب وأحقادها حاجزا للتواصل بينهما.
- تتجسد أسمى معاني التسامح الديني، في محاولة القس المسيحي الدفاع عن قضية الأمير عبد القارد للخروج من سجن المنفى.
- أن رغبة الأمير عبد القادر في الإطلاع على الديانة المسيحية، زاد من إعجاب مونسينيور به وبسماحته متمنيا لو أنه كان مسيحيا.
- واسيني الأعرج يقدم فكرة محتواها أن العلاقة بين الإسلام والمسيحية، ليست كديانتين متنافرتين بل علاقة تمهد إلى التسامح الديني.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم:**

- رواية ورش عن نافع.

❖ **المصادر:**

- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله الكبير وآخرون، دار الفكر، ط1، القاهرة، 1919.
- الطبري معروف الحرستاني، تفسير القرآن الكريم، تح، شارعوا معروف، عصام فارس الحرستاني، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1994.
- الفيروز الأبادي، القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، دط، 2008.
- طاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه، دار المزمن، ط1، 1999.
- فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تج عبد السلام محمد هارون، ج3، دار الفكر، د.ط، د.ت.
- واسيني الأعرج، رمل الماية، فاجعة الليلة السابعة بعد ألف، ورد للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2015.
- واسيني الأعرج، طوق الياسمين، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
- واسيني الأعرج، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، دار الآداب، بيروت ،لبنان، ط2، 2008.
- واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، دار الآداب، ط1، 2013.
- واسيني الأعرج، ذاكرة الماء، محنة الجنون العاري، ط1، 2011.

❖ **المراجع العربية:**

- إبراهيم أحمد الوقفي، السماحة في الاسلام والمسيحية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 2008.
- ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، ط1، 1986.

قائمة المصادر والمراجع

- ابراهيم محمد ابراهيم، أديان الوضعية في مصادرها المقدمة وموقف الاسلام منها، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1985.
- أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
- أبي عبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية، مؤسسة الوفاد، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- جبور عبد النور، معجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.
- جعفر عبد السلام، التسامح في الفكر الإسلامي، المركز العلمي، للطباعة والكمبيوتر، فلسطين، ط1، 2005.
- سعيد بنكراد، سيمولوجية الشخصيات السردية، رواية الشراع والعاصفة، الختامية نموذجا، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتب اللبناني، ط1، 1995.
- شوقي أبو خليل، التسامح في الإسلام، المبدأ والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د.ت.
- صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، د ط، د ت.
- طه جابر العلواني، لا إكراه في الدين، إشكالية الردة والمرتدين، من صدر الاسلام إلى اليوم، دار النشر مكتبة الشروق الدولية، ط 1، 2003.
- طه وادي، الرواية والسياسة، الشركة المصرية العالمية للنشر، د، ط،د،ت .
- طيب بوعزة، ماهية الرواية، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005.

- عبد الكريم الخطيبي، التسامح والسياسة، ترعز الدين الكتاني في الإدريس، المشروع القومي للترجمة، د.ط، 1998.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، د ط، 1998.
- علي محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ط1، 1985.
- محمد الرخيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ط1، 1991.
- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- محمد كمال إبراهيم جعفر، الاسلام بين الأديان، مكنبة دار العلوم للنشر، القاهرة، د.ط، 2016.
- محمد مصياف، النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1983.
- محمد مفلاح، روايات محمد مفلاح أعمال غير الكاملة، دار الحكمة، الجزائر، د ط، 2007.
- محمد كمال جعفر، الإنسان والأديان، دراسة ومقارنة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، قطر، الدوحة، ط1، 1985.
- نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد، تح نزار أباظة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1994.
- نوح حسن، تفسير القرآن الكريم المبسط، مطبعة دياب للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2020.

❖ **المراجع الأجنبية:**

- اليكسي جوارفسكي، الاسلام والمسيحية، دار المعرفة، الكويت، ط1 ، 1970.

- بورنو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري تر ميشيل خوري، دار عطية للنشر، سوريا، دمشق، ط1، 1997.
- بير شارتيه ، مدخل إلى نظريات الرواية، تر عبد الكبير الشرقاوي، دارتو بقبال للنشر دار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.
- جير الد ج جامبو لسكي، التسامح أعظم علاج على الإطلاق، دار العربية للكتاب، د ط، 2006.
- ميخائيل بختين، الكلمة في الرواية، تر يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1988.
- ميشال ماكلون، وآخرون، التسامح النظرية والبحث والممارسة، تر عبير محمد أنور، المركز القومي للترجمة، ط1، 2015.

❖ **مجلات:**

- أحلام معمري، نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، مجلة الأثر العدد 20، الجزائر، 2014.
- إلياس دكار، حقيقة التسامح الديني بين المسيحية والاسلامية- دراسة تحليلية مقارنة، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، مجلد 4، العدد 2، 2019.
- بن بغداد أحمد، تمظهرات، صورة اليهودي في الرواية العربية لتاريخ والاستشراق، رواية أنا وحاييم، أنموذجا، مجلة علوم اللغة وعلومها، المجلد 15، عدد 1، 2023.
- نذير بيبي، زهرة بارش، صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة، رواية الخلان لأمين زاوي، المجلد 10، العدد01 ، 2023.
- نور الهدى غرابا، سليم كرام، المرجعيات الثقافية وبناء المتخيل السردي، قراءة في رواية أنا وجييم للجيب السائح، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، مجلد 10، العدد 1، 2021.

❖ **الرسائل والأطروحات الجامعية:**

- بن سليمان عمر، مفهوم التسامح وتأصيله في التراث، رسالة دكتوراه جامعة وهران 2، قسم الفلسفة، 2016.
- سارة بولحبال، كريمة شعماط: الأنا والآخر في رواية تلك المحبة للحبيب السائح، مذكرة لنيل شهادة ماستر، أدب جزائري، جامعة الصديق بن يحي، جيجل، 2021/2020
- مولودي منى، حسيني أمينة، بينة الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، رواية تفاح الجن لجميلة مراني، أنموذجا، مذكرة ماستر، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المدية، الجزائر، 2023/2022.
- نجلاء سبتي، جهينة بابوري، صورة اليهودي في الرواية الجزائرية المعاصرة، أربعون عاما في انتظار إزابيل " سعيد خطيبي أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الماستر، أدب حديث ومعاصر، جامعة 8 ماي 1945، قالمة 2022/2021.

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
إهداء	...
شكر	...
مقدمة	أ
الفصل الأول: تسامح الأديان السماوية	
المبحث الأول: مفهوم التسامح والأديان	**06**
المبحث الثاني: رؤية القرآن الكريم لتسامح الأديان	**14**
المبحث الثالث: مسارات التسامح بين الإسلام والمسيحية	**20**
الفصل الثاني: تسامح الأديان في الرواية الجزائرية	
المبحث الأول: تعريف الرواية ونشأتها	**28**
المبحث الثاني: المرجعية الدينية في الرواية الجزائرية	**36**
المبحث الثالث: مظاهر تسامح الأديان وتجلياتها في الرواية الجزائرية	**42**
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لرواية الأمير مسالك أبواب الحديد لوسيني الأعرج – أنموذجا	
المبحث الأول: تعريف الكاتب وملخص الرواية	**48**
المبحث الثاني: المرجعية الدينية لشخصيات الرواية ودلالتها	**59**
المبحث الثالث: مظاهر تسامح الأديان في الرواية	**64**
خاتمة	**73**
قائمة المراجع والمصادر	**76**
الفهرس	**81**
ملخص	**82**

ملـخص

يعالج هذا البحث الذي جاء تحت عنوان "تسامح الأديان في رواية الأمير مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج "موضوع التسامح الديني باعتباره قضية إنسانية، تهدف إلى تحقيق التعايش السلمي بين الشعوب رغم اختلاف دياناتهم، لذلك حاولنا في هذا العمل الكشف من العلاقة بين المسلم والمسيحي لأن هذه الثنائية تمثل جوهر الموضوع في الرواية معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي ،فقد عكست هذه الرواية مفهوم تسامح الأديان من خلال شخصية "الأمير عبد القادر" القائد المثقف والمنفتح على الآخر وشخصية "القس مونسينيور ديبوش".

قدم لنا واسيني الأعرج حوار الحضارات بطريقة تشجع على احترام عقيدة الآخر وتقبله، فلم يكتفي بتقديم سرد تاريخي فقط بل وجه رسالة تدعو إلى التسامح والتفاهم بين الشعوب والثقافات.

الكلمات المفتاحية: التسامح، الدين، الإسلام، المسيحية، واسيني الأعرج، القس مونسينيور ديبوش، الرواية.

Abstract:

This research, titled "Interfaith Tolerance in Wasini Laredj's Novel "The Prince's Paths of Iron Gates," addresses the topic of religious tolerance as a humanitarian issue, aiming to achieve peaceful coexistence among peoples, despite their different religions. Therefore, in this work, we attempted to explore the relationship between Muslims and Christians, as this duality represents the core of the novel. Relying on a descriptive and analytical approach, this novel reflects the concept of interfaith tolerance through the characters of Emir Abdelkader, the cultured and open-minded leader, and the character of Father Monsignor Dibosch.

Wasini Laredj presented us with a dialogue of civilizations in a way that encourages respect for and acceptance of the other's faith. He did not merely present a historical narrative, but also conveyed a message calling for tolerance and understanding between peoples and cultures.

Keywords: Tolerance, Religion, Islam, Christianity, Wasini Laredj, Father Monsignor Dibosch, Novel


تم بحمد الله